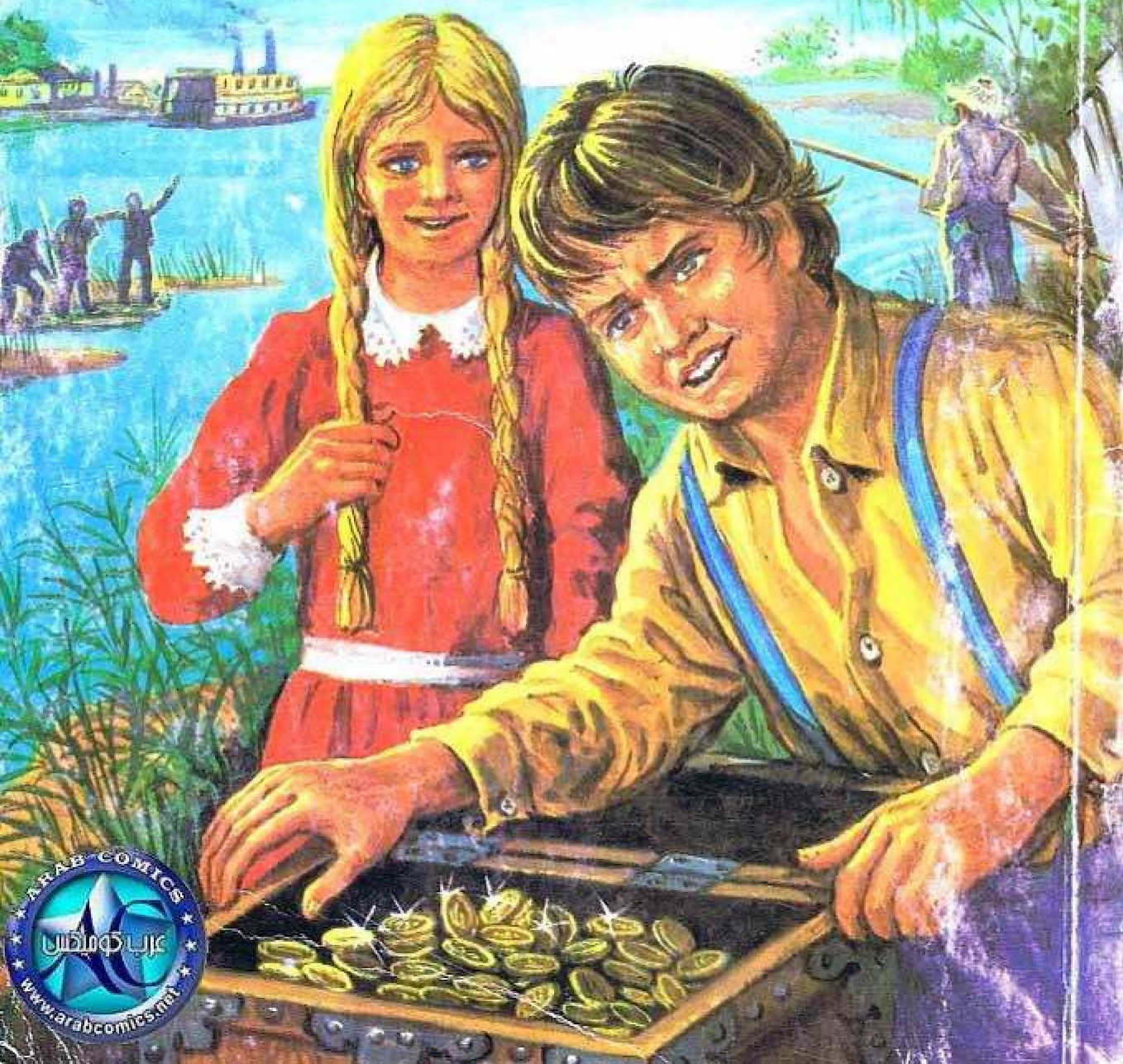
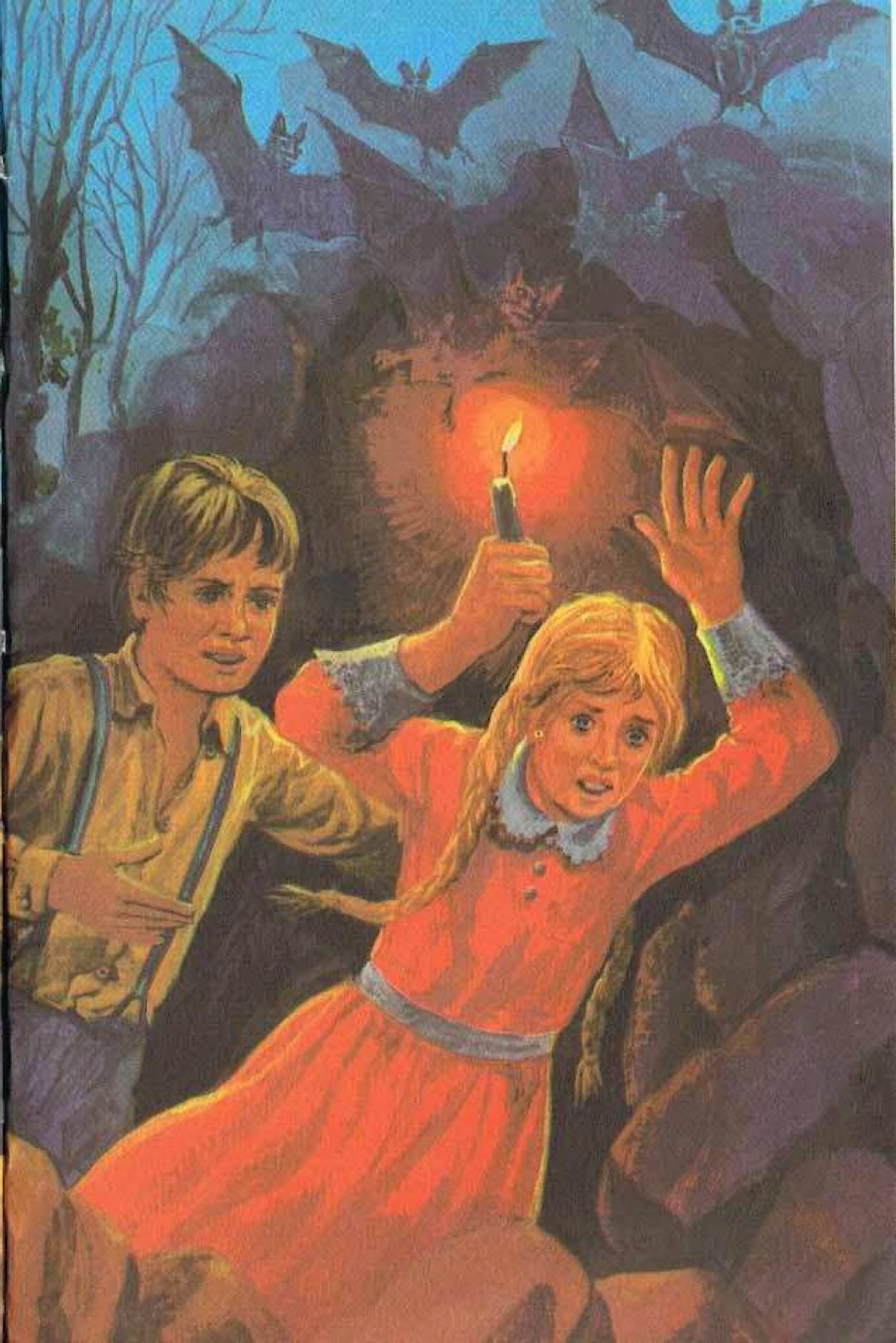
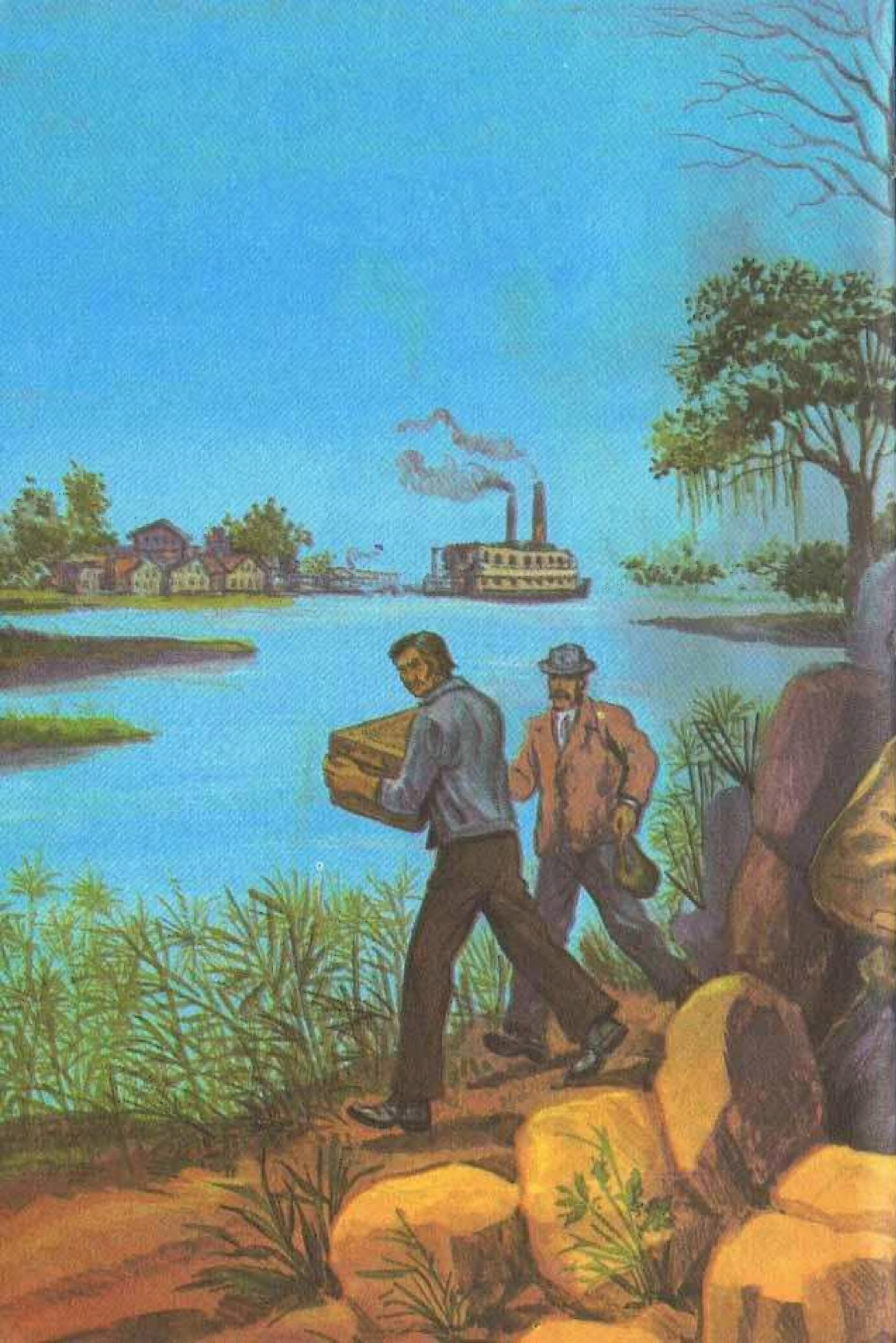


منهارت نوم سوين



المغامرات المثيرة





مَغَامِرَاتُ تَوْمِ سَبَوِيْن



المغامرات المشيرة



تأليف : مارك توين

أعدها بالعربية : ميشيل تكلا

رسوم : محمد قطب

مَكْتَبَةُ لِبْنَات

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ١٩٩٢

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأي وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإبداع : ٩٦٦٨ / ١٩٩١

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠٠٦٨ -

طبع في دار نوبار للطباعة

الخُرُوجَ ، فَصَاحَتْ بِهِ : « مَا الَّذِي كُنْتَ تَفْعَلُهُ بِجَوَارِ تِلْكَ
الْخِزَانَةِ ؟ »

« لَا شَيْءَ ، يَا خَالَتِي . »

« لَا شَيْءَ ؟ انْظُرْ إِلَى يَدَيْكَ ، وَانْظُرْ إِلَى فَمِكَ فِي الْمِرَاةِ .. لَقَدْ
سَرَقْتَ شَيْئًا وَ أَكَلْتَهُ .. لَا تَفْتَحْ تِلْكَ الْخِزَانَةَ ! لَقَدْ قُلْتَ لَكَ ذَلِكَ
أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ مَرَّةً . إِلَيَّ بِهَذِهِ الْعَصَا ! »

وَ تَنَاوَلَتِ الْخَالَةُ الْعَصَا وَ رَفَعَتْهَا إِلَى أَعْلَى ؛ فَأَصْبَحَ الْخَطَرُ قَرِيبًا
جِدًّا مِنْ توم ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُفَكِّرَ بِسُرْعَةٍ .

صَرَخَ توم : « آه .. انْظُرِي خَلْفَكَ ، يَا خَالَتِي ! »

اسْتَدَارَتِ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ بِسُرْعَةٍ لِنَتَنَظَّرَ ، فَأَسْرَعَ توم بِالْفِرَارِ مِنْ
الْبَيْتِ وَتَسَلَّقَ السُّورَ ، وَ قَفَزَ مِنْهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ . وَ دَهَشَتْ
خَالَتُهُ بوللي لِلْحِظَةِ ، ثُمَّ أَغْرَقَتْ فِي الضَّحِكِ .

وَ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « إِنَّهُ ذَكِيٌّ وَلَا أَحِبُّ أَنْ أُضْرِبَهُ ، فَهُوَ ابْنُ
أُخْتِي الْمُسْكِينَةِ الَّتِي مَاتَتْ ! لَكِنْ إِذَا لَمْ أُضْرِبْهُ فَلَنْ يُصْبِحَ رَجُلًا
صَالِحًا . إِنَّهُ وَلَدٌ شَقِيٌّ ، وَ قَدْ لَا يَذْهَبُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ فِي عَصْرِ هَذَا
الْيَوْمِ . فَإِذَا لَمْ يَذْهَبْ فَسَأَعِاقِبُهُ بِأَنْ أَجْعَلَهُ يَعْمَلُ عَدَا . »

وَ لَمْ يَذْهَبْ توم إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ اسْتَمْتَعَ تَمَامًا

الفصل الأول

متاعب مستمرة

« توم ! »

لا جَوَابَ .

« توم ! »

مَرَّةً أُخْرَى لا جَوَابَ .

« أَتَيْنَ ذَلِكَ الصَّبِيُّ الْآنَ ؟ » تَسَاءَلَتِ السَّيِّدَةُ فِي نَفْسِهَا ، ثُمَّ
اسْتَطَرَدَتْ : « لَوْ أَمْسَكْتُ بِهِ ، فَسَوْفَ ... » وَلَكِنَّ الْقِطْعَةَ كَانَتْ
تَحْتَ الْفِرَاشِ ، وَ أَسْرَعَتْ هَارِبَةً وَ تَوَقَّفتِ السَّيِّدَةُ ثُمَّ أَضَافَتْ : « لَمْ
أَرِ شَخْصًا مِثْلَ ذَلِكَ الصَّبِيِّ . »

وَ اتَّجَهَتْ نَحْوَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ ، وَ نَادَتْ : « توم ! توم ! »

وَسَمِعَتْ صَوْتًا خَلْفَهَا ، فَالْتَفَتَتْ بِسُرْعَةٍ ، وَرَأَتْ توم وَهُوَ يُحَاوِلُ

بِالْوَقْتِ فِي اللَّهْوِ ، وَعَادَ إِلَى الْبَيْتِ مُتَأَخِّرًا . وَرَأَى جِيمَ ، الْخَادِمَ
الصَّغِيرَ ، يَقْطَعُ الْأَخْشَابَ ، فَسَاعَدَهُ بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَقَامَ جِيمُ
بِمُعْظَمِ الْعَمَلِ الشَّاقِّ عَلَى حِينِ عَمَلِ تَوْمَ يَرْفُقُ ، وَحَكَى لِجِيمِ
مُغَامِرَاتِهِ . وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ أَصْبَحَ الْخَشَبُ مُعَدًّا لِلِاسْتِخْدَامِ فِي
الْمِدْفَأَةِ .

وَكَانَ لِتَوْمَ أَخٍ أَصْغَرَ اسْمُهُ سِيدْنِي ، وَكَانَ هَادِيَّ الطَّبْعِ ، وَلَمْ
يَكُنْ يُحِبُّ الْمَغَامِرَاتِ أَوْ يَهْوَاهَا ، وَكَانَ قَدْ فَرَعَ لِتَوِّهِ مِنْ أَدَاءِ
وَاجِبَاتِهِ الْمَدْرَسِيَّةِ .

وَجَلَسَ الْجَمِيعُ لِتَنَاوُلِ طَعَامِ الْعِشَاءِ ، وَشَرَعَ تَوْمَ يَسْرِقُ السُّكَّرَ
كُلَّمَا حَانَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ . وَلَمْ تَلْحَظْ خَالَتُهُ ذَلِكَ قَطُّ . وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ
الكَثِيرَ مِنَ الْأَسْئَلَةِ ، فَظَنَّتْ أَنَّ أَسْئَلَتَهَا غَايَةً فِي الذِّكَاةِ ، وَلَكِنَّ تَوْمَ
فَطِنَ إِلَى مَا كَانَتْ تَرْمِي إِلَيْهِ .

سَأَلَتْهُ : « هَلْ كَانَ الْجَوْ حَارًّا فِي الْمَدْرَسَةِ ، يَا تَوْم ؟ »

« نَعَمْ ، يَا خَالَتِي . »

« كَانَ حَارًّا جَدًّا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

« بَلَى . »

« أَلَمْ تَكُنْ تَرْغَبُ فِي السَّبَاحَةِ ، يَا تَوْم ؟ »

وَلَمْ يَكْشِفْ وَجْهَهَا لِتَوْمَ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ، فَأَجَابَ : « لَا
يَا خَالَتِي .. لَيْسَ كَثِيرًا . »

وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ تَحِيكُ يَاقَةَ قَمِيصِهِ أحيانًا ، وَتُحَكِّمُ
إِعْلَاقَهَا . وَمِنْ ثَمَّ لَا يَسْتَطِيعُ فَكُّهَا أَوْ خَلْعَ قَمِيصِهِ لِيَسْبَحَ ؛ فَلَمَسَتْ
قَمِيصَهُ ، لَكِنَّهُ كَانَ جَافًا .

قَالَتْ : « افْتَحْ قَمِيصَكَ ، يَا تَوْم ، وَدَعْنِي أَرَى يَاقَتَكَ ؟ »

وَعِنْدَمَا رَأَتْ الْيَاقَةَ ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ عَلَى وَضْعِهَا ، قَالَتْ :
« ظَنَنْتُ أَنَّكَ ذَهَبْتَ لِتَسْبَحَ ، وَلَكِنَّكَ وَلَدٌ طَيِّبٌ ، وَعَلَى ذَلِكَ
سَامَحْتُكَ . »

قَالَ سِيدْنِي : « لَقَدْ خِطَّتْ يَاقَتَهُ بِخَيْطٍ أبيضَ ، يَا خَالَتِي ، وَلَكِنَّ
الْخَيْطَ لَوْنُهُ أَسْوَدُ الْآنَ . انْظُرِي إِلَيْهِ ! » فَجَرَى تَوْمَ هَارِبًا مِنَ الْبَابِ ،
وَهُوَ يَقُولُ : « سَأَضْرِبُكَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ، يَا سَيِّدُ . »

وَعِنْدَمَا أَصْبَحَ تَوْمَ خَارِجَ الْبَيْتِ ، اسْتَبَدَّ بِهِ الْغَضَبُ مِنْ أَخِيهِ
سَيِّدَ ، وَرَاحَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ : « إِنَّهَا تَسْتَخْدِمُ أحيانًا خَيْطًا أبيضَ ،
وَأحيانًا خَيْطًا أَسْوَدَ ، فَكَيْفَ أَتَذَكَّرُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ؟ »

وَلَكِنَّ تَوْمَ سَرَّعَانَ مَا نَسِيَ مَشَاكِلَهُ ؛ لِأَنَّهُ رَأَى صَبِيًّا غَرِيبًا لَمْ
يَسْبِقْ لَهُ أَنْ رَأَهُ . وَكَانَ الْوَلَدُ أَكْبَرَ مِنْ تَوْمَ ، وَكَانَتْ مَلَابِسُهُ نَظِيفَةً ،

وَفِي قَدَمَيْهِ حِذَاءٌ . وَكَانَ تَوْمَ نَفْسُهُ لَا يَلْبَسُ الْحِذَاءَ إِلَّا فِي أَيَّامِ
الْأَحَادِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْيَوْمَ يَوْمَ الْأَحَدِ . وَلَمْ يُعْجَبْ تَوْمَ بِالْوَلَدِ
الْغَرِيبِ وَلَا بِمَلَابِسِهِ .

نَظَرَ إِلَيْهِ تَوْمَ وَقَالَ : « يُمَكِّنُنِي أَنْ أَطْرَحَكَ أَرْضًا . »
رَدَّ الصَّبِيُّ الْغَرِيبُ : « حَاوِلْ ذَلِكَ إِنْ اسْتَطَعْتَ . »
« يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ . »

قَالَ الْغَرِيبُ : « لَا ، لَنْ يُمَكِّنَكَ . »

« بَلْ أَسْتَطِيعُ . »

« لَنْ تَسْتَطِيعَ . »

« أَسْتَطِيعُ . »

« لَنْ تَقْدِرَ . »

« بَلْ أَقْدِرُ . »

« لَنْ ... »

وَأَعْقَبَتْ هَذِهِ الْمَحَادَثَةُ لَحْظَةً صَمَتْ قَصِيرَةً سَأَلَهُ تَوْمَ بَعْدَهَا :
« مَا اسْمُكَ ؟ »

« لَنْ أَقُولَ لَكَ . »

قَالَ تَوْمَ : « أَسْتَطِيعُ أَنْ أَطْرَحَكَ أَرْضًا بِيَدٍ وَاحِدَةٍ ، وَبِيَدِي الْأُخْرَى
وَرَاءَ ظَهْرِي . »

« فَلِمَذَا لَا تَفْعَلُ ؟ تَقُولُ إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . »

قَالَ تَوْمَ : « سَأَلَنِي بِحَجَرٍ عَلَى رَأْسِكَ . »

« لَا ، لَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ . إِنَّكَ تَتَكَلَّمُ فَقَطْ . إِنَّكَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا
فَأَنْتَ خَائِفٌ . »

« أَنَا لَسْتُ بِخَائِفٍ . »

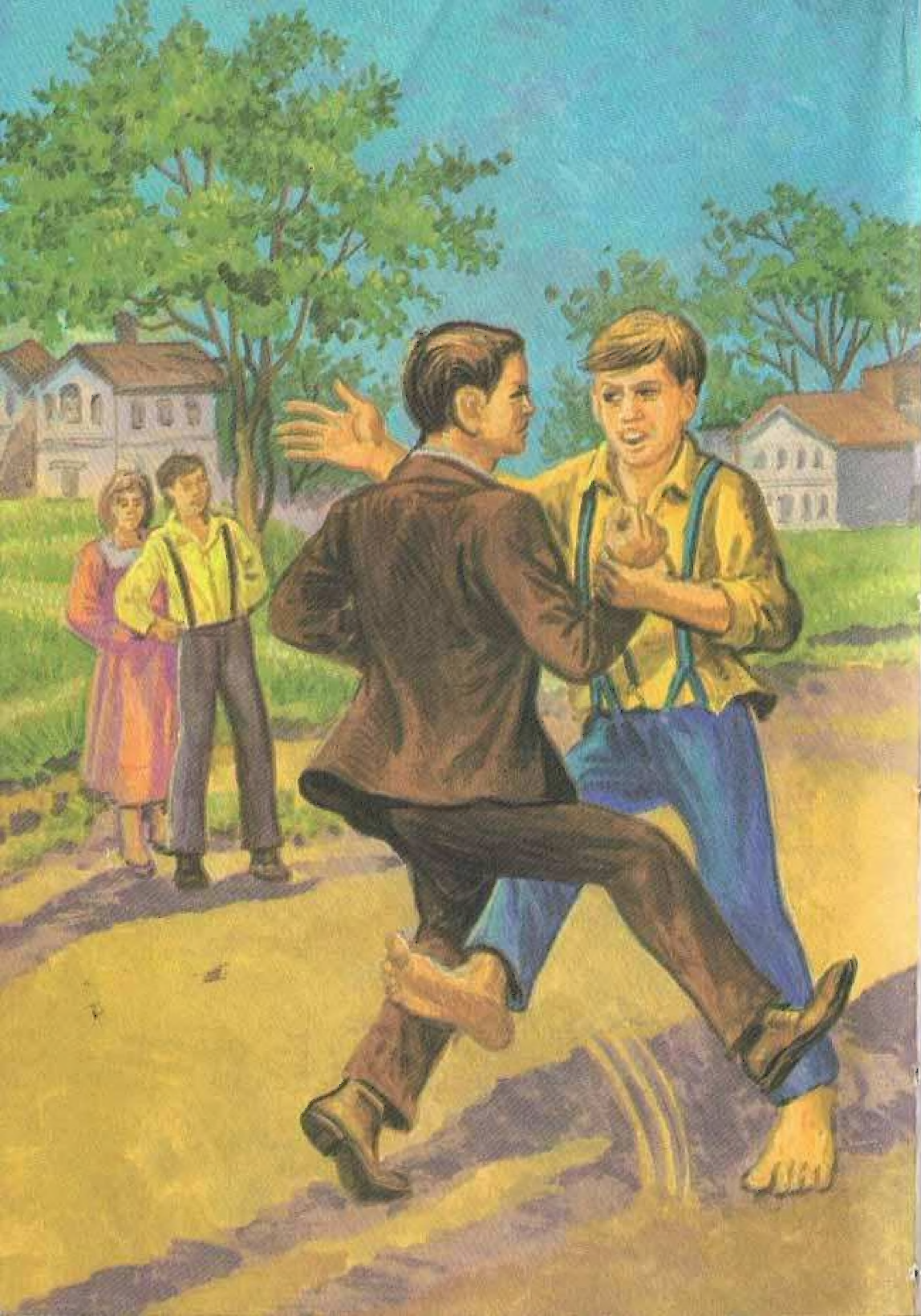
قَالَ الصَّبِيُّ الْغَرِيبُ : « بَلْ أَنْتَ خَائِفٌ . »

نَظَرَ كُلُّ مِنَ الْوَلَدَيْنِ بِغَضَبٍ إِلَى الْآخَرِ ، وَاقْتَرَبَا حَتَّى تَلَامَسَتْ
أَكْتَافُهُمَا ، فَقَالَ تَوْمَ : « اذْهَبْ بَعِيدًا عَنْ هُنَا وَلَا قَاتِلْتِكَ . »

وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الْوَلَدُ الْغَرِيبُ مِنْ مَكَانِهِ .

وَبَدَأَ الْاِثْنَانِ يَتَدَافِعَانِ ، وَاشْتَدَّ تَلَاخُمُهُمَا بَعْضَ الْوَقْتِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَا
لِاسْتَرِيحَا . وَرَسَمَ تَوْمَ خَطًّا عَلَى الْأَرْضِ بِقَدَمَيْهِ ، وَقَالَ : « لَنْ تَجْرُوَ
عَلَى تَخْطِي هَذَا الْخَطِّ ، فَإِذَا فَعَلْتَ فَسَأَضْرِبُكَ . »

وَفِي الْحَالِ عَبَّرَ الصَّبِيُّ الْغَرِيبُ الْخَطَّ الْمَرْسُومَ عَلَى الْأَرْضِ . وَفِي

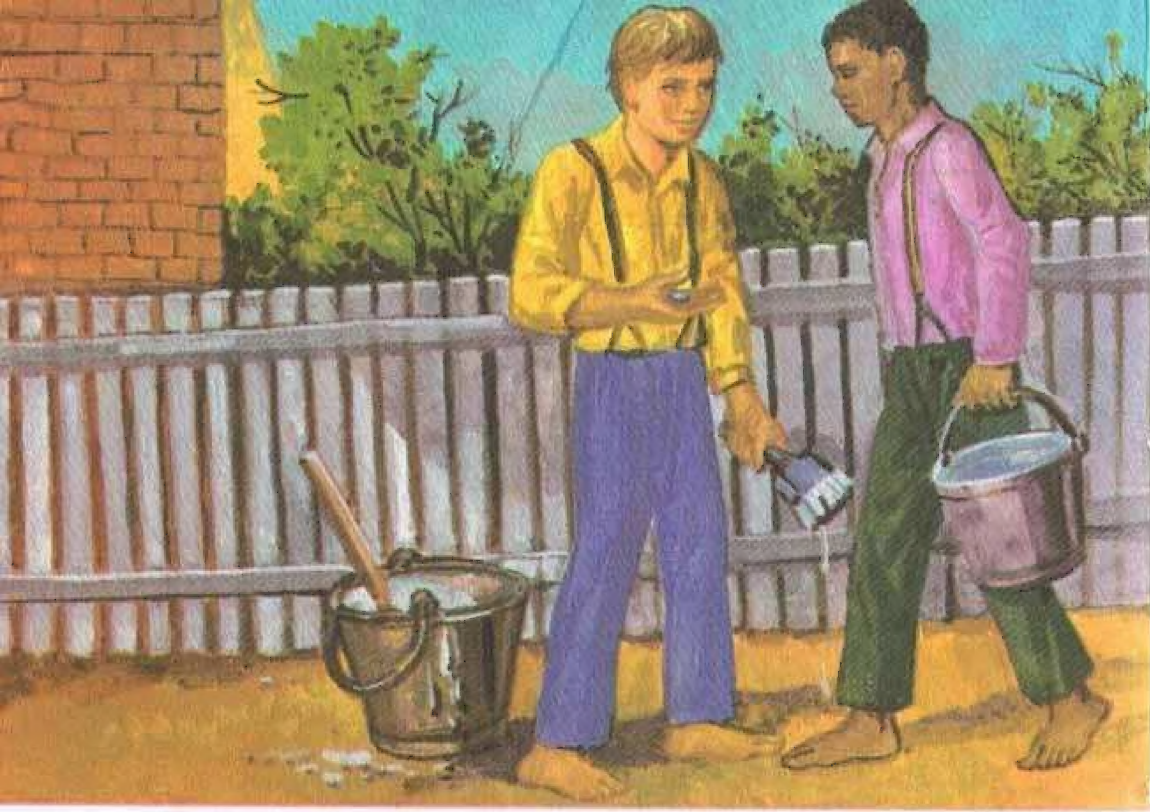


لَحْظَةً كَانَ الْخَصْمَانِ يَتَعَارَكَانِ وَسَطَ الْقَادُورَاتِ ، وَ يَتَدَحْرَجَانِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَسَالَتِ الدِّمَاءُ مِنْ أَنْفَيْهِمَا عَلَى التُّرَابِ . وَسَرَّعَانَ مَا اتَّسَخَ الْاِثْنَانِ وَأَصْبَحَتْ مَلَابِسُهُمَا فِي حَالَةٍ سَيِّئَةٍ . وَ انْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ بِأَنْ جَلَسَ تومَ فَوْقَ غَرِيمِهِ قَائِلًا : « هَلِ اكْتَفَيْتَ ؟ »

وَحَاوَلَ الْوَلَدُ الْغَرِيبُ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ ، لَكِنْ تومَ ضَرَبَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَصَرَخَ الْوَلَدُ قَائِلًا : « كَفَى ! » فَتَرَكَهُ تومَ يَنْهَضُ مِنْ مَكَانِهِ ، وَبَدَأَ يَسِيرُ مُبْتَعِدًا ، وَهُوَ يَنْفُضُ الْغُبَارَ عَنْ مَلَابِسِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ بِغَضَبٍ نَحْوَ تومَ . لَكِنْ تومَ ضَحِكَ سَاخِرًا .

وَقَدَفَ الْوَلَدُ الْغَرِيبُ تومَ بِحَجَرٍ ، فَأَسْرَعَ تومَ يَجْرِي وَرَاءَهُ ، وَأَخِيرًا دَخَلَ الْوَلَدُ بَيْتَهُ ، فَرَأَهُ تومَ فَوَقَفَ لَكِنْ وَالِدَةُ عَدُوَّهُ رَأَتْهُ فَقَالَتْ إِنَّ تومَ وَلَدٌ شَرِيرٌ ، فَسَارَ مُبْتَعِدًا بِطُءٍ .

وَعِنْدَمَا وَصَلَ تومَ إِلَى مَنْزِلِهِ كَانَتْ الْخَالَةُ بوللي فِي انْتِظَارِهِ . وَنَظَرَتْ إِلَى مَلَابِسِهِ الْمَتَسَخَةِ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهَا مِنْهُ ، وَقَالَتْ لَهُ بِحَزْمٍ : « سَاعَاقِبُكَ عَلَى ذَلِكَ ، بِأَنْ أَكَلَّفَكَ بِالْقِيَامِ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ عَدَا . »



الفصل الثاني توم يذهش اخالة بوللي

كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ صَحْوًا ، وَالْعَالَمُ يَبْدُو سَعِيدًا ؛ فَالزَّهْرُ وَالْأَشْجَارُ
رَائِعَةٌ الْجَمَالِ فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ الْمُبْهَجِ . وَ أَرَادَ توم أَنْ يَذْهَبَ إِلَى
تَلِّ كَارْدِيفِ الْوَاقِعِ وَرَاءَ الْقَرْيَةِ ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ حَزِينًا .

كَانَتْ قُرْشَاةٌ فِي إِحْدَى يَدَيْهِ ، وَ دَلَّوْهُ فِي الْيَدِ الْأُخْرَى ، وَ قَدْ
امْتَلَأَ الدَّلَّوْهُ بِطِلَاءٍ جَبْرِيٍّ أَبْيَضَ . وَكَانَ عَلَى توم اسْتِخْدَامُهُ لِطِلَاءِ
السُّورِ . وَ نَظَرَ توم بِأَسَى وَ حُزْنٍ إِلَى السُّورِ الَّذِي كَانَ طَوْلُهُ نَحْوَ
ثَلَاثِينَ مِثْرًا ، وَ ارْتِفَاعُهُ أَكْثَرَ مِنْ مِثْرَيْنِ . وَ بَدَتْ الْحَيَاةُ لِتوم كَثِييَّةً
جِدًّا .

وَ غَمَسَ توم الْقُرْشَاةَ فِي الطِّلَاءِ الْأَبْيَضِ ، وَ حَرَكَهَا فَوْقَ
الْخَشَبِ ؛ فَتَرَكَتْ عَلَامَةً بَيَضاءَ ، وَ لَكِنَّهَا كَانَتْ عَلَامَةً صَغِيرَةً
جِدًّا . ثُمَّ نَظَرَ توم إِلَى بَعِيدٍ فَرَأَى جِيمَ وَ هُوَ يَحْمِلُ دَلَّوًا آخَرَ لِيَمْلَأَهُ

بِالْمَاءِ مِنَ الطُّلْمَبَةِ . وَتَذَكَّرَ توم أَنَّ ثَمَّةَ أَوْلَادًا آخَرِينَ عِنْدَ الطُّلْمَبَةِ ،
وَقَدْ يَتَحَدَّثُ جِيمَ مَعَهُمْ ، وَلَكِنْ لَا وُجُودَ لِلأَوْلَادِ عِنْدَ السُّورِ .

وَنَادَى توم بِأَعْلَى صَوْتِهِ : « جِيم ! سَأَمْلَأُ دَلَّوْكَ بِالْمَاءِ لَوْ عَاوِثَنِي
فِي طِلَاءِ السُّورِ . »

أَجَابَهُ جِيمَ : « لَا ؛ فَالسَّيِّدَةُ أَمَرَتْنِي بِأَلَّا أَطْلِيَ السُّورَ . وَقَالَتْ
لَا بُدَّ أَنْ أَعُودَ بِالْمَاءِ . »

صَرَخَ توم فِي وَجْهِهِ : « إِنَّهَا دَائِمًا تَتَكَلَّمُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ .
أَعْطِنِي هَذَا الدَّلَّوَّ لِأَحْضِرَ الْمَاءَ ، وَ سَأَعْطِيكَ « بَلِيَّةً » مُقَابِلَ
ذَلِكَ ، يَا جِيم . »

أجابهُ جيم : « بَلِيَّةٌ ! » وَ تَرَدَّدَ ؛ لِأَنَّهُ يُحِبُّ « الْبَلِيَّ » ، ثُمَّ
اسْتَدْرَكَ : « وَلَكِنِّي خَائِفٌ مِنَ السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ . »

وَأَسْرَعَ تَوَمَّ بِإِخْرَاجِ « بَلِيَّةٍ » مِنْ جَيْبِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِيَدِهِ ، فَنَظَرَ
إِلَيْهَا جِيمٌ بِجَشَعٍ ؛ وَ وَضَعَ الدَّلْوَ عَلَى الْأَرْضِ وَأَخَذَ « الْبَلِيَّةَ » وَلَمْ
يَقْطُنْ إِلَى الْخَالَةِ بُولَلِي ، وَهِيَ وَاقِفَةٌ خَلْفَهُ ، وَ قَدْ أَمْسَكَتْ
بِحِذَائِهَا ، وَ ضَرَبَتْهُ بِهِ .

وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ كَانَ جِيمٌ يَجْرِي عَلَى طُولِ الشَّارِعِ ، فِي
حِينَ كَانَ تَوَمَّ يَطْلِي السُّورَ بِهَمَّةٍ وَ نَشَاطٍ . وَلَوَّحَتِ الْخَالَةُ بُولَلِي
بِحِذَائِهَا مِنْ فَوْقِ رَأْسِهَا ثُمَّ عَادَتْ إِلَى الْبَيْتِ .

وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ تَوَقَّفَ تَوَمَّ عَنِ الطَّلَاءِ ، وَأَلْقَى بِالْفُرْشَةِ جَانِبًا ،
وَأَخْرَجَ كُلَّ مَا فِي جُيُوبِهِ مِنْ « بَلِيٍّ » قَدِيمٍ ، وَقَطَعَ مِنَ الْخِيطِ
وَاللُّعْبِ وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً أُخْرَى . وَ نَظَرَ إِلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ نَظْرَةً حَزِينَةً ،
وَقَالَ : « لَا أَحَدَ يُرِيدُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، وَلَنْ يَطْلِيَ أَحَدُ السُّورِ إِذَا
أَعْطَيْتُهُ « بَلِيَّةً » ، وَلَنْ يَعْمَلَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ قِطْعَةٍ خِيطٍ . »

وَلَكِنْ سَرَّعَانَ مَاخَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ ؛ فَالْتَقَطَ الْفُرْشَةَ مَرَّةً أُخْرَى ،
وَ ظَهَرَ أَمَامَهُ بَنُ رُوجَرُزْ ، وَكَانَ يَأْكُلُ تَفَاحَةً وَهُوَ فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ .
وَكَانَ يَتَظَاهَرُ بِأَنَّهُ سَفِينَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَ تَحْرُكُ بِطَرِيقَةِ غَرِيبَةٍ عَلَى طُولِ

الطَّرِيقِ ، وَ دَارَ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ . وَفِي صَوْتِ عَالٍ أُعْطِيَ
أَوَامِرَ أَطَاعَتْهَا السَّفِينَةُ فِي الْحَالِ .

لَمْ يَنْتَبِهْ تَوَمَّ لِلْسَّفِينَةِ الْغَرِيبَةِ وَ ظَلَّ يَطْلِي السُّورَ ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ،
وَلَكِنْ بَيْنَ لَاحِظٍ وَجُودِ تَوَمَّ ، فَنَادَاهُ : « تَوَمَّ ! مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ ؟ هَلْ
أَنْتَ فِي مَازِقٍ ، يَا وَلَدِي ؟ إِنَّكَ تَعْمَلُ ! »

طَلَى تَوَمَّ جُزْءًا آخَرَ مِنَ السُّورِ ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ؛ ثُمَّ وَقَفَ وَقْفَةً
فَنَّانٍ ، وَأَلْقَى نَظْرَةً عَلَى الطَّلَاءِ الْأَبْيَضِ .

قَالَ بَنُ مَرَّةً أُخْرَى : « تَوَمَّ ! لِمَاذَا أَنْتَ تَعْمَلُ ؟ »

رَدَّ تَوَمَّ : « آه ، إِنَّهُ أَنْتَ ! لَمْ أَلْحِظْ وَجُودَكَ . »

قَالَ بَنُ : « إِنَّنِي ذَاهِبٌ لِلْسَّبَاحَةِ وَأَنْتَ لَا تُرِيدُ أَنْ تَأْتِيَ . هَلْ
تُرِيدُ ؟ أَرَى أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَعْمَلَ فَذَلِكَ أَفْضَلُ كَثِيرًا . » ثُمَّ ضَحِكَ بَنُ
بِصَوْتِ عَالٍ .

نَظَرَ تَوَمَّ إِلَى بَنٍ بِهَدْوٍ ، ثُمَّ قَالَ : « مَا الْعَمَلُ ؟ مَاذَا تُسَمِّي
الْعَمَلَ ؟ »

أَجَابَ بَنُ : « أَلَيْسَ ذَلِكَ عَمَلًا ؟ »

رَدَّ تَوَمَّ : « رُبَّمَا . » ثُمَّ عَادَ إِلَى عَمَلِهِ قَائِلًا : « إِنَّهُ يُنَاسِبُنِي . »

صاح بن : « ماذا ؟ » وَقَدْ أَخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ فَعَادَ يَقُولُ : « هَلْ يُعْجِبُكَ هَذَا الْعَمَلُ ؟ »

« لِمَ لَا ؟ فَنَادِرًا مَا يَحْصُلُ الْوَاحِدُ مِنَّا عَلَى فُرْصَةٍ كَهَذِهِ . إِنَّكَ لَمْ تَطُلْ سِوَا مِنْ قَبْلُ . هَلْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ »

غَيَّرَتْ هَذِهِ الْمَحَادَثَةَ أَفْكَارَ بِنَ ، فِي حِينَ تَحَرَّكَتْ فُرْشَاةُ توم بِنُعُومَةٍ عَلَى الْخَشَبِ ، وَبِنَ يُرَاقِبُهُ ، ثُمَّ صَاحَ : « توم ! دَعْنِي أَطْلِي السَّوْرَ قَلِيلًا ! »

وَ فَكَّرَ توم ، وَكَادَ يُوَافِقُ ، لَكِنَّهُ قَالَ : « لَا يَا بِنَ ، عَلَيَّ أَنْ أَطْلِي السَّوْرَ جَيِّدًا . وَلَا بُدَّ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِنَفْسِي ؛ لِكَيْ يَكُونَ جَمِيلًا عِنْدَمَا أَنْتَهِيَ مِنْهُ . قَالَتْ خَالَتِي لَا بُدَّ أَنْ أَطْلِيَهُ بِحَذَرٍ شَدِيدٍ . »

« بَلْ دَعْنِي أَجْرِبُ قَلِيلًا ! »

« لَا ، يَا بِنَ . لَقَدْ أَمَرْتَنِي خَالَتِي أَنْ أَطْلِيَهُ وَحْدِي ، فَإِذَا طَلَيْتَهُ أَنْتَ فَسَوْفَ تَرْتَكِبُ خَطَأً ؛ فَأَنْتَ لَا تُجِدُ الطَّلَاءَ . »

« لَنْ أُرْتَكِبَ خَطَأً ، وَسَأَعْطِيكَ تَفَاحَتِي . »

وَوَظَّهَرَتْ عَلَى وَجْهِ توم عِلَامَاتُ الشُّكِّ ، وَ لَكِنَّهُ نَازَلَ بِنَ الْفُرْشَاةَ ، وَارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ الْكَابَةُ لَكِنْ قَلْبُهُ كَانَ فَرِحًا .

وَعَمِلَ بِنَ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ ، وَ سَرَّعَانَ مَا أَحْسَسَ بِحَرَارَةِ الْجَوِّ ، فِي حِينَ جَلَسَ توم عَلَى الْأَرْضِ يَأْكُلُ التَّفَاحَةَ ، وَرَاحَ يُفَكِّرُ بِعُمُقٍ وَيَنْسِجُ خُطَطًا أُخْرَى .

وَ اكْتَفَى بِنَ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ طِلَاءِ السَّوْرِ وَ غَادَرَ الْمَكَانَ . وَ لَكِنْ جَاءَ أَوْلَادُ آخَرُونَ ، وَ سَخِرُوا مِنْ توم عِنْدَمَا رَأَوْهُ . وَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى كَانُوا هُمْ أَيْضًا يَطْلُونَ السَّوْرَ . وَبِالطَّبْعِ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْفَعُوا لِتوم مُقَابِلَ الْمُتَعَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَمَتَّعُوا بِهَا ، وَ كَانَتْ حَصِيلَتُهُ بَعْضَ حَيَوَانَاتٍ نَافِقَةٍ وَ قِطْعًا مِنَ الْخُيُوطِ . وَأَعْطَوْهُ أَيْضًا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ « بِلْيَةً » وَ بَعْضَ قِطْعِ الزُّجَاجِ الْأَزْرَقِ اللَّوْنِ مِنْ قَارُورَةٍ . كَمَا حَصَلَ عَلَى تِمَثَالٍ جُنْدِيٍّ مِنَ الصَّفِيحِ ، وَ مِفْتَاحٍ لَمْ يَفْتَحْ أَيُّ شَيْءٍ بِالطَّبْعِ . وَحَصَلَ أَيْضًا عَلَى طَوْقٍ يُعَلِّقُ بِرَقَبَةِ كَلْبٍ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى كَلْبٍ . وَ كَانَ مَعَهُ مِقْبَضُ سِكِّينَ وَ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ مِنْ بَرْتِقَالَةٍ . وَ تَكَاسَلَ توم بَعْضَ الْوَقْتِ ، وَ لَمْ يُؤَدِّ عَمَلًا آخَرَ بَعْدَ أَنْ طَلَى السَّوْرَ بِثَلَاثِ طَبَقَاتٍ مِنَ الطَّلَاءِ .

وَ اكْتَشَفَ توم قَانُونًا عَظِيمًا عَلَى النُّحُوِّ التَّالِي : إِذَا لَمْ يَنْلِ إِنْسَانٌ شَيْئًا مَا ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُلِحَّ فِي طَلْبِهِ . وَإِذَا كَانَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا ، فَالْشَيْءُ هُوَ الْعَمَلُ . فَإِذَا لَمْ يَكُنْ رَاجِبًا فِي أَدَائِهِ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ عَمَلًا . إِنَّ تَسْلُوقَ جَبَلٍ شَاهِقٍ مُتَعَةٍ ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ لِأَيِّ إِنْسَانٍ

أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ . فَقِيَادَةُ عَرَبِيٍّ لِنَفْسِكَ مَتْعَةٌ أَيْضًا ، وَلَكِنْ قِيَادَةُ عَرَبِيٍّ
لِغَيْرِكَ هُوَ عَمَلٌ .

الفصل الثالث فتاة الحديقة

تَسْأَلُ تَوْم : « هَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَذْهَبَ لِأَلْعَبَ الْآنَ ،
يَا خَالَتِي ؟ »

صَابَحَتْ : « الْآنَ ؟ كَمْ مِنَ السَّوْرِ طَلَيْتَ ؟ »

رَدَّ تَوْم : « إِنَّ السَّوْرَ أَيْضُ اللَّوْنِ الْآنَ ، يَا خَالَتِي . »

« تَوْم ! لَا تَكْذِبْ عَلَيَّ فَإِنَّا لَمْ أَعُدْ أَحْتَمِلُ ذَلِكَ . »

« أَنَا لَا أَكْذِبُ ، يَا خَالَتِي . »

وَخَرَجَتْ الْخَالَةُ لِتُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى السَّوْرِ ، وَدَهَشَتْ عِنْدَمَا رَأَتْهُ .
وَلَمْ تَسْتَطِعْ الْكَلَامَ لِحُظَّةٍ ثُمَّ قَالَتْ : « آه ، يَا تَوْم ! تَسْتَطِيعُ أَنْ
تَعْمَلَ عِنْدَمَا يَحُلُو لَكَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّكَ لَا تُرِيدُ أَنْ تَعْمَلَ بَيْنَ وَقْتِ
وَأَخَرٍ . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَذْهَبَ الْآنَ لِتَلْعَبَ ، وَلَكِنْ

لَا تَتَأَخَّرُ عِنْدَ عَوْدَتِكَ . » وَابْتَسَمَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ وَأَعْطَتْهُ تَفَاحَةً .

وَعِنْدَمَا خَرَجَ توم مِنَ الْمَنْزِلِ رَأَى أَخَاهُ سَيِّدُ فَقَدَفَهُ بِيَعْضِ الْحَصَى ، ثُمَّ انْطَلَقَ مَتَّجِهَاً نَحْوَ الْقَرْيَةِ . وَهُنَاكَ التَقَى فَرِيقَانِ مِنَ الْأَوْلَادِ عَلَى هَيْئَةِ جُنُودٍ لِلْقِتَالِ . وَقَادَ توم بِنَفْسِهِ أَحَدَ الْجَيْشَيْنِ وَصَدِيقُهُ جوهَارِيرُ الْجَيْشِ الْآخَرَ . وَدَارَتْ مَعْرَكَةٌ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ ، كُتِبَ النَّصْرُ فِيهَا لِجَيْشِ توم ، ثُمَّ حَدَدَ الْأَوْلَادُ مَوْعِدَ الْمَعْرَكَةِ التَّالِيَةِ ، وَبَدَأَ توم الْعُودَةَ إِلَى بَيْتِهِ .

وَعِنْدَمَا مَرَّ توم بِمَنْزِلِ جَيْفِ ثَائِشَرِ شَاهَدَ فَتَاةً لَمْ يَرَهَا مِنْ قَبْلُ . وَكَانَ شَعْرُهَا أَصْفَرَ اللَّوْنِ ، وَ عَيْنَاهَا زَرْقَاوَيْنِ . وَكَانَ مُعْجَبًا بِفَتَاةٍ تُدْعَى آمِي لورانس ، وَلَكِنَّهُ سَرَّعَانَ مَا نَسِيَهَا عَلَى الْفُورِ . وَكَانَ قَدْ كَدَّ شَهْرًا طَوِيلَةً كَيْ يَحْظِيَ بِحُبِّ آمِي لورانس ، وَلَكِنَّهَا الْآنَ قَدْ اخْتَفَتْ مِنْ تَفْكِيرِهِ . وَرَاحَ يُرَاقِبُ الْفَتَاةَ الْجَدِيدَةَ مُخْتَلِسًا النَّظَرَ إِلَيْهَا لِبَعْضِ الْوَقْتِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَحْتَهُ . وَتَظَاهَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَرَهَا ، وَحَاوَلَ أَنْ يَقُومَ بِبَعْضِ الْمَهَارَاتِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . وَرَأَاهَا تَتَجَهَّ نَحْوَ الْبَيْتِ ، فَبَدَأَ الْأُسَى عَلَى وَجْهِهِ . وَأَخَذَتْ تَرْتَقِي الدَّرَجَ ، وَلَكِنَّهَا فِي آخِرِ لَحْظَةٍ أَلْقَتْ بِزَهْرَةٍ عَبْرَ السُّورِ .

وَجَرَى توم نَحْوَ الزَّهْرَةِ وَالتَّقَطَّهَا سِرًّا وَدَسَّهَا فِي جَيْبِ سُرْتَرِهِ بِالْقُرْبِ مِنْ قَلْبِهِ . وَانْتَظَرَ بِجِوَارِ السُّورِ لَوَقْتٍ طَوِيلٍ ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا



حَلُّ اللَّيْلِ لَمْ تَخْرُجِ الْفَتَاةُ ثَانِيَةً ، فَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ بِطُءٍ .

وَوَبَّخَتْهُ خَالَتُهُ لِمَا فَعَلَهُ بِأَخِيهِ سَيِّدٍ ، كَمَا ضَرَبَتْهُ لِسِرْقَتِهِ بَعْضَ
قِطْعٍ مِنَ السُّكَّرِ .

قَالَ توم وَهُوَ مُنْفَعِلٌ : « إِنَّكَ لَا تَضْرِبِينَ سَيِّدَ أَبَدًا عِنْدَمَا يَسْرِقُ
قِطْعَ السُّكَّرِ . »

أَجَابَتْهُ : « إِنَّ سَيِّدَ وَلَدٌ أَفْضَلُ مِنْكَ . » ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلَى الْمَطْبَخِ .

وَامْتَدَّتْ يَدُ سَيِّدٍ إِلَى عُلْبَةِ السُّكَّرِ وَدَفَعَهَا ، فَسَقَطَتْ عَلَى
الْأَرْضِ مِنْ فَوْقِ الْمَائِدَةِ وَتَحَطَّمَتْ . وَفَرَحَ توم فَرَحًا عَظِيمًا لِهُدَاهِ
الْحَادِثَةِ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « عِنْدَمَا تَعُودُ خَالَتِي سَتَغَضَبُ مِنْ
سَيِّدٍ . » وَانْتَظَرَ عَوْدَتَهَا بِفَرَحٍ وَسُرُورٍ .

وَلَمَّا عَادَتِ الْخَالَةُ لَاحَظَتْ عَلَى الْقَوْرِ عُلْبَةَ السُّكَّرِ الْمُحْطَمَةَ ،
وَأَدْخَلَ وَجْهَهَا الْغَاضِبُ السُّرُورَ وَالسَّعَادَةَ عَلَى توم ، وَارْتَسَمَتْ
الْإِبْتِسَامَةُ عَلَى مَحْيَاهُ . وَلَكِنْ فَجَاءَ أَلْقَتْ بِهِ عَلَى الْأَرْضِ .

صَرَخَ توم : « لِمَاذَا تَضْرِبِينَني ؟ سَيِّدٌ هُوَ الَّذِي حَطَمَ الْعُلْبَةَ وَلَمْ
أَحْطَمْهَا أَنَا . »

لَمْ تَفْهَمْ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ بِكَلِمَةٍ ، وَأَحْسَتْ فَجَاءَتْ بِالْأَسْفِ نَحْوَ توم .

وَأَرَادَتْ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِحَنَانٍ ، وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ صَعْبًا عَلَيْهَا . وَأَخِيرًا
قَالَتْ : « يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَضْرِبَكَ بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ ، فَأَنْتَ وَلَدٌ شَقِيٌّ
سَيِّئٌ . » وَلَمْ تَقُلْ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ عَمِلَتْ فِي صَمْتٍ .
أَمَّا توم فَقَدْ فَهَمَ مَا تَرْمِي إِلَيْهِ ، وَظَلَّ هَادِئًا فِي رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ
الْغُرْفَةِ يَتَأَلَّمُ لِحَالِهِ . وَحَاوَلَ أَنْ يَتَخَيَّلَ أَنَّهُ مَاتَ ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ :
« إِذَا مِتُّ فَسَوْفَ تَشْعُرُ خَالَتِي بِالْأَسَى وَالْحُزْنِ عَلَى فِرَاقِي . »
وَتَخَيَّلَهَا مُنْحَنِيَةً فَوْقَهُ وَهِيَ تَبْكِي ، وَتَقُولُ : « لَيْتَهُ يَغْفِرُ لِي ! » لَكِنَّهُ
أَدَارَ وَجْهَهُ تَجَاهَ الْحَائِطِ وَتَمَاوَتَ . وَلَكِنْ خَالَتُهُ لَمْ تَفْعَلْ شَيْئًا ،
فَشَعَرَ بِحُزْنٍ عَمِيقٍ وَبَدَأَ يَبْكِي فِي سُكُونٍ .

وَفَجَاءَتْ ظَهَرَتْ مَارِي ابْنَةُ خَالَتِهِ ، وَبَدَأَتْ تَرْقُصُ بِسَعَادَةٍ فِي
أَرْجَاءِ الْغُرْفَةِ . وَلَمْ يَتَحَمَّلْ توم النَّظَرَ إِلَى عَيْنَيْهَا اللَّامِعَتَيْنِ فَخَرَجَ
مِنَ الْبَيْتِ وَسَارَ حَتَّى بَلَغَ النَّهْرَ ، وَجَلَسَ عَلَى ضِفْتِهِ . وَأَخْرَجَ
الزَّهْرَةَ مِنْ جَيْبِ سُرْتِهِ وَرَاحَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِحُزْنٍ . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :
« تُرَى هَلْ هَذِهِ الْفَتَاةُ قَاسِيَةٌ أَيْضًا ، أَمْ هِيَ فَتَاةٌ عَطُوفٌ ؟ »

وَفِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ وَالنِّصْفِ لَيْلًا كَانَ توم خَارِجَ مَنْزِلِهَا مَرَّةً
ثَانِيَةً . وَكَانَ الصَّمْتُ يُحِيطُ بِالْمَنْزِلِ ، وَالنَّوْافِدُ مُظْلِمَةٌ بِاسْتِثْنَاءِ نَافِذَةٍ
وَاحِدَةٍ ، فَتَسَلَّقَ السُّورَ وَسَارَ بِهَدْوٍ فِي الْحَدِيقَةِ وَوَقَفَ تَحْتَ النَّافِذَةِ
لَحْظَةً ، وَتَسَاءَلَ هَلْ هِيَ هُنَاكَ فِي الدَّوَرِ الْعُلُويِّ ؟ وَجَلَسَ عَلَى

الْأَرْضِ تَحْتَ النَّافِذَةِ مُمَسِّكًا بِالزُّهْرَةِ فِي يَدِهِ يُفَكِّرُ فِي الْفَتَاةِ .
وَرَأَى أَنْ يَتَظَاهَرَ بِالْمَوْتِ عَلَى النَّحْرِ الَّذِي فَعَلَهُ قَبْلًا فِي بَيْتِ خَالَتِهِ ،
وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « سَتَرَانِي فِي الصَّبَاحِ جُثَّةٌ هَامِدَةٌ ، وَرُبَّمَا تَبْكِي
عَلَيَّ قَلِيلًا لِأَنْنِي سَأَكُونُ مَيِّتًا . »

وَفَجْأَةً فَتَحَ شَخْصَ النَّافِذَةِ وَأَطْلَقَ صَيْحَةً . وَسَقَطَتْ عَلَى الْفَتَى
الشُّجَاعِ كَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ، فَهَبَّ وَاقِفًا بِسُرْعَةٍ عَلَى
قَدَمَيْهِ . وَطَارَ شَيْءٌ فِي الْهَوَاءِ بِالقُرْبِ مِنْ رَأْسِهِ ، ثُمَّ رَأَى شَيْئًا أَسْوَدَ
الْوَلَوْنَ يَتَحَرَّكُ . تَرَى هَلْ كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ قِطْعَةً ؟ لَقَدْ قَفَرَ ذَلِكَ
الشَّيْءُ مِنْ فَوْقِ السُّورِ وَاخْتَفَى فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ .

الفصل الرابع يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ يَبْدَأُ بِدَايَةِ سَيِّئَةٍ

اعْتَادَ توم الخُرُوجَ صَبَاحَ أَيَّامِ الْاِثْنَيْنِ كَاسِفَ الْبَالِ حَزِينًا ، وَلَمْ
يَحْدُثْ أَنْ أَحَسَّ بِالسَّعَادَةِ فِي أَيِّ يَوْمٍ اِثْنَيْنِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَبْدَأُ بِأَسْبُوعِ
جَدِيدٍ يَقْضِيهِ فِي الْمَدْرَسَةِ . وَاسْتَلْقَى عَلَى فِرَاشِهِ وَرَاحَ يُفَكِّرُ فِي خُطَّةِ
جَدِيدَةٍ ، وَتَمَنَّى لَوْ كَانَ مَرِيضًا ، فَلَأَطْفَالُ الْمَرْضَى يَمْكُثُونَ فِي
بُيُوتِهِمْ ، وَلَا يَذْهَبُونَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ . وَفَحَصَ توم نَفْسَهُ لِيَرَى إِنْ كَانَ
يَشْكُو مِنْ شَيْءٍ : فَمَعِدَتُهُ فِي حَالَةٍ طَيِّبَةٍ ، وَلَكِنَّهُ اكْتَشَفَ سِنًا غَيْرَ
ثَابِتَةٍ فِي فَمِهِ ؛ فَهَذَا إِذَا قَالَ حَسَنٌ ، وَلَكِنَّهُ تَذَكَّرَ أَنَّ خَالَتَهُ اعْتَادَتْ
أَنْ تَخْلَعَ آيَةً سِنٍ مُقْلَقَةً . وَلَمْ يُعْجِبْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُسَبِّبُ أَلَمًا شَدِيدًا .

وَفَجْأَةً تَذَكَّرَ توم كَلِمَاتِ قَالِهَا طَبِيبٌ عَنْ إصْبَعٍ مُلْتَهَبَةٍ نَتِيجَةُ
تَلَوُّهَا بَعْضُ الْأَوْسَاحِ ، وَبَدَتْ عَلَى وَجْهِ الطَّبِيبِ نَظْرَةٌ جَادَّةٌ
صَارِمَةٌ . فَرَفَعَ توم قَدَمَهُ إِلَى أَعْلَى ، وَنَظَرَ بِإِمْعَانٍ فِي أَصَابِعِ قَدَمِهِ

لَعَلَّهُ يَجِدُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ إِصْبَعًا مُلْتَهَبَةً ، وَعَلَيْهِ بَدَأُ يَتَأَوَّهُ .

وَعَلَا تَأَوَّهُ توم ، وَلَكِنَّ سَيِّدَ لَمْ يَسْتَيْقِظْ ، وَعَادَ توم يَتَنُّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةً ، وَمَعَ ذَلِكَ ظَلَّ سَيِّدٌ مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِهِ . ثُمَّ صَرَخَ توم بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ مُنَادِيًا : « سَيِّدُ ! سَيِّدُ ! » وَهَزَّهُ فَاسْتَيْقِظَ سَيِّدٌ ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ إِلَى توم . وَفِي الْحَالِ تَأَوَّهُ توم مَرَّةً أُخْرَى .

صَرَخَ سَيِّدٌ : « توم ! توم ! ما الأمرُ ؟ ماذا حَدَثَ ؟ » ثُمَّ هَزَّ توم بِعُنْفٍ .

صاحَ توم بِدَوْرِهِ : « لا تَهْزِنِي عَلَى هَذَا النَّحْوِ . » ثُمَّ عَادَ إِلَى تَأَوُّهِهِ .

« لَكِنَّ مَا الْأَمْرُ ، يَا توم ؟ لا بُدَّ أَنْ أَنَادِيَ خَالَتي . »

« لا .. لا تُنَادِهَا .. لا يُهِمُّ .. رُبَّمَا أَتَحَسَّنُ بَعْدَ قَلِيلٍ . »

« لَكِنَّ لا بُدَّ أَنْ أَنَادِيَهَا .. وَلا تَتَأَوَّهُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ ، يَا توم ..

إِنَّهُ شَيْءٌ مُرِيعٌ . كَمْ مَضَى مِنَ الْوَقْتِ وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ »

« مَكَثْتُ هَكَذَا سَاعَاتٍ وَسَاعَاتٍ يَا سَيِّدُ . إِنِّي أَغْفِرُ لَكَ كُلَّ

شَيْءٍ . أَغْفِرُ لَكَ تَحْطِيمَ إِنَاءِ السُّكَّرِ ، يَا سَيِّدُ ، عِنْدَمَا أَمُوتُ ... »

قالَ سَيِّدٌ : « توم ! أَلَمْ تَمُوتَ الْآنَ ؟ »

« إِنِّي أَغْفُو عَنْ كُلِّ إِنْسَانٍ ، يَا سَيِّدُ . إِنِّي أَغْفُو عَنْ خَالَتي

ضَرْبَهَا إِيَّايَ . ظَنَنْتُ أَنَّي حَطَمْتُ إِنَاءَ السُّكَّرِ ، وَلَكَمْ تَعْرِفُ الْحَقِيقَةَ . شَيْءٌ آخَرُ ، يَا سَيِّدُ . أَرْجُو أَنْ تُعْطِيَ الْفَتَاةَ الْجَدِيدَةَ قِطْعَتِي وَقُلْ لَهَا ... »

لَكِنَّ سَيِّدَ تَنَاوَلَ مَلَابِسَهُ وَخَرَجَ مِنَ الْغُرْفَةِ ، وَهَبَطَ الدَّرَجَ ، وَنَادَى : « خَالَتي ! خَالَتي ! توم يُشْرِفُ عَلَى الْمَوْتِ . »

قَالَتْ : « الْمَوْتُ ؟ »

« نَعَمْ ، يَا خَالَتي . لا تَنْتَظِرِي ! أَسْرِعِي ! »

« هَرَاءَ ! لا أَصَدِّقُ ذَلِكَ ! » وَلَكِنَّهَا أَسْرَعَتْ تَرْتَقِي الدَّرَجَ ، وَتَبَعَهَا سَيِّدٌ وَمَارِي . وَكَانَ وَجْهُهَا شَاحِبًا وَشَفَتَاهَا تَرْتَعِشَانِ . وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَى فِرَاشِ توم سَأَلَتْهُ : « مَا الْأَمْرُ ، يَا توم ؟ »

« آه ، يَا خَالَتي بُولِي ! »

« مَاذَا بِكَ ، يَا بُنَيَّ ؟ »

« آه ، يَا خَالَتي . إِنَّ إِصْبَعَ قَدَمِي تُوَلِّمَنِي ، فَقَدْ تَسَمَّيْتُ . »

جَلَسَتْ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ عَلَى مَقْعَدٍ ، وَرَاحَتْ تَضْحَكُ بِصَوْتٍ عَالٍ ، ثُمَّ بَكَتُ قَلِيلًا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ شَعَرَتْ بِتَحَسُّنٍ . وَوَقَفَتْ وَقَالَتْ بِلَهْجَةٍ آمِرَةٍ : « كَفْ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ الْفَارِغِ ، وَانْهَضْ

وفجأة دفعت بقطعة الفحم المشتعلة نحو وجهه نوم ، فترجع إلى الوراء بسرعة ، وعلى الأثر انخلعت السن من موضعها .

ولقي نوم - في طريقه إلى المدرسة - عدداً من الأولاد ، وأراههم المكان الخالي في قمه ، وظنوا أنه زميل لطيف ، ثم قابل هاكليبري فن . وكانت جميع الأمهات في المدينة يكرهن هاكليبري فن لسوء طبيعه وامتناعه عن أداء أي عمل . ومنعت الخالة بوللي نوم من أن يلعب معه ، ولكنه كان يلعب معه كلما استطاع ذلك .

وكانت ملابس هاكليبري رثة دائماً وقديرة . وعندما كان الناس يتخلصون من ملابسهم البالية ، كان هاكليبري يرتديها . ولم يذهب قط إلى المدرسة ، وكان ينام على السلالم لأنه لم يكن له منزل يؤويه ، ولكنه أحب هذا النوع من الحياة . وكان يتشاجر حينما يحلو له ذلك . ولم يذهب مرة إلى فراش ينام عليه ، وكان يستطيع أن يسهر إلى ساعة متأخرة من الليل . ولم يستحم قط ، ومع ذلك أعجب به كل أطفال المنطقة ، وأرادوا أن يكونوا مثله .

ناداه نوم : « أهلاً ، يا هاك ! »

« أهلاً ! »

فوراً من فراشك .

وتوقفت التأوهات على الفور ، وقال الصبي : « كان الألم شديداً ، يا خالتي ، لدرجة أنني نسيت سني التي تؤلمني أيضاً . »

« سنك ! ماذا دهى سنك ؟ »

« إحدى أسناني متقلقلة وتسبب لي ألماً شديداً . »

« إياك أن تعاود هذا التأوه ، يا ولدي . افتح فمك ودعني أرى . نعم السن بكل تأكيد غير ثابتة ، ولكنها لن تقتلك . ماري ، أحضري قطعة خيط من الحرير وقطعة فحم من النار . »

قال : « أرجوك لا تخلعيها . إنها لا تؤلمني الآن ، يا خالتي . لا أريد أن أبقى في البيت . أريد الذهاب إلى المدرسة . »

« أحقاً ما تقول ؟ كل هذه المتاعب بسبب المدرسة ، أليس كذلك ؟ أنت تريد الذهاب إلى النهر لصيد السمك . ما قولك ؟ أه ، يا نوم ! يا عزيزي نوم ، إنني أحبك ولكنك تريد أن تحطم قلبي ! »

أتت ماري بالخيط الحريري وقطعة الفحم المشتعلة ، وربطت السيدة العجوز طرف الخيط الحريري بسن نوم ، ثم ربطت الطرف

سأله توم : « ما هذا الذي معك ؟ »

« قِطْعَةٌ مَيْتَةٌ أَرِيدُ أَنْ أَخْذَهَا مَعِيَ اللَّيْلَةَ . سَيَأْتُونَ اللَّيْلَةَ مِنْ أَجْلِ هُورس وِيلِيَامز ؛ فَهُمْ يُرِيدُونَ الْاسْتِيلَاءَ عَلَى جُثَّتِهِ . وَسَأَذْهَبُ إِلَى الْمَدَافِنِ لِأَرَأَقِبَ مَا يَجْرِي هُنَاكَ . لَقَدْ دَفَنُوا الرَّجُلَ الْعَجُوزَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَاللُّصُوصُ سَيَسْرِقُونَ جُثَّتَهُ اللَّيْلَةَ . »

قال توم : « دَعْنِي أَذْهَبُ مَعَكَ إِلَى الْمَدَافِنِ ، يَا هَاكَ . »

« يُمَكِّنُكَ أَنْ تَأْتِيَ إِذَا لَمْ تَكُنْ خَائِفًا . »

قال توم : « بِالطَّبَعِ أَنَا لَسْتُ بِخَائِفٍ . »

عِنْدَمَا وَصَلَ توم إِلَى الْمَدْرَسَةِ الصَّغِيرَةِ أَسْرَعَ فِي سَيْرِهِ . وَانْتَبَهَ النَّاطِرُ عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتَ توم .

ناداهُ السَّيِّدُ دُوبِنز النَّاطِرُ : « توماس سُوِيْر ! »

رَدَّ توم : « نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي . »

« تَعَالَ إِلَى هُنَا ! لِمَاذَا تَأَخَّرْتَ مَرَّةً أُخْرَى ؟ »

كَادَ توم أَنْ يَكْذِبَ ، لَكِنَّهُ رَأَى شَعْرًا جَمِيلًا أَصْفَرَ اللَّوْنِ يَنْسَدِلُ عَلَى ظَهْرِ فَتَاةٍ ، وَ لَاحَظَ أَيْضًا وُجُودَ مَكَانٍ خَالٍ بِجَوَارِهَا . وَكَانَ الْمَكَانَ الْوَحِيدَ الْخَالِيَّ فِي الْحُجْرَةِ ، فَأَجَابَ توم عَنْ سُؤَالِ النَّاطِرِ

بِشَجَاعَةٍ : « تَوَقَّفْتُ لِأَتَحَدَّثَ إِلَى هَاكِيلِيرِي فِين . »

وَ تَمَلَّكَتِ الدَّهْشَةُ السَّيِّدَ دُوبِنزَ حَتَّى كَادَ قَلْبُهُ يَتَوَقَّفُ عَنِ النَّبْضِ ، وَ نَظَرَ إِلَى توم نَظْرَةً غَرِيبَةً جِدًّا . وَاعْتَقَدَ الْأَوْلَادُ الْآخَرُونَ أَنَّ توم فَقَدْ إِحْسَاسَهُ .

تَكَلَّمَ السَّيِّدُ دُوبِنزَ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ : « هَلْ سَمِعْتِكَ جَيِّدًا ، يَا توماس سُوِيْر ؟ أَعِدْ مَا قُلْتَهُ . »

قال توم بِوُضُوحٍ تَامٍّ : « تَوَقَّفْتُ لِأَتَحَدَّثَ إِلَى هَاكِيلِيرِي فِين . »

قال النَّاطِرُ : « اخْلَعْ مِعْطَفَكَ . » وَتَنَاوَلَ عَصَاهُ وَ تَحَرَّكَتْ ذِرَاعُهُ إِلَى أَعْلَى ثُمَّ إِلَى أَسْفَلٍ وَأَنْهَالَ ضَرْبًا عَلَى توم بِقُوَّةٍ . وَ تَحَمَّلَ توم الضَّرْبَ فِي صَمْتٍ ، وَلَمْ يَتَأَوَّهْ أَلْبَتَّةَ . وَعِنْدَمَا كَلَّتْ ذِرَاعُ النَّاطِرِ قَالَ بِقَسْوَةٍ : « وَالْآنَ أَذْهَبُ وَ اجْلِسْ مَعَ الْبَنَاتِ ! »

وَأَنْفَجَرَتِ الضَّحِكَاتُ فِي الْحُجْرَةِ ، وَسَارَ توم إِلَى جَانِبِ الْبَنَاتِ مُتَظَاهِرًا بِالْحُزَنِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَزِينًا ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ بِالْقُرْبِ مِنْ تِلْكَ الْفَتَاةِ الْجَمِيلَةِ . وَ عِنْدَمَا جَلَسَ ، تَحَرَّكَتِ الْفَتَاةُ مُبْتَعِدَةً ، وَ سَمِعَ توم هَمَسَاتٍ مِنَ الْفَتَيَاتِ الْآخَرِيَّاتِ فِي الْفَصْلِ . وَلَكِنَّهُ جَلَسَ وَانْتَظَرَ وَسَرَّعَانَ مَا عَادَ الْهُدُوءُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ .

وَ اخْتَلَسَ توم النَّظَرَ إِلَى الْفَتَاةِ . وَ لَاحَظَتْ هِيَ ذَلِكَ ، فَأَدَارَتْ

رَأْسَهَا بَعِيداً لِمُدَّةٍ دَقِيقَةٍ ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا أَدَارَتْ رَأْسَهَا مَرَّةً أُخْرَى
كَانَتْ تُفَاحَةً قَدْ وُضِعَتْ فَوْقَ الْمَكْتَبِ ، فَأَزَاحَتْهَا بَعِيداً . لَكِنْ تَوْمَ
أَعَادَهَا يَرْفُقِي ، فَأَزَاحَتْهَا بَعِيداً مَرَّةً أُخْرَى وَلَكِنْ بَغْضَبٍ أَقْلَ مِنَ الْمَرَّةِ
السَّابِقَةِ ، فَوَضَعَ تَوْمَ التُّفَاحَةَ أَمَامَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَتَرَكَتْهَا مَكَانَهَا .

وَبَدَأَ تَوْمَ يَرَسِّمُ مَنَزَلاً ، وَلَكِنْ الْفَتَاةُ أَشَاحَتْ بِنَظَرِهَا عَمَّا يَرَسِّمُهُ ،
وَرَسَّمَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْمَنَازِلِ ، وَحَاوَلَتْ هِيَ أَنْ تَرَى الصُّورَةَ
وَهَمَسَتْ : « دَعْنِي أَرَاهَا . » وَأَرَاهَا تَوْمَ الصُّورَةَ ؛ فَقَالَتْ : « إِنَّهَا
جَمِيلَةٌ ! ارْسُمْ رَجُلًا . »

وَرَسَّمَ تَوْمَ الْفَنَّاَنَ رَجُلًا ضَخْمًا فِي حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ ، فَهَمَسَتْ :
« إِنَّهُ رَجُلٌ جَمِيلٌ ! وَالْآنَ ارْسُمْنِي . »

وَرَسَّمَ فَتَاةً بَدِينَةً ذَاتَ ذِرَاعَيْنِ نَحِيفَتَيْنِ ، فَقَالَتْ : « إِنَّهُ رَسَّمَ
جَمِيلٌ . إِنَّنِي لَا أَجِيدُ الرَّسْمَ . »

هَمَسَ تَوْمَ : « سَأَعَلِّمُكَ ! »

« أَوْ حَقًّا ؟ مَتَى ؟ »

« بَعْدَ انْتِهَاءِ الدَّرَاسَةِ فِي الْفَتْرَةِ الصَّبَاحِيَّةِ : هَلْ تَعُودِينَ إِلَى
الْبَيْتِ لِتَتَنَاوَلَ طَعَامَ الْغَدَاءِ ؟ »

« سَأَمُكْتُ إِذَا مَكَّثْتَ أَنْتَ . »

« حَسَنٌ ، سَأَفْعَلُ . مَا اسْمُكَ ؟ »

« بِكِي ثَائِشَر . وَمَا اسْمُكَ . . آه ، أَعْرِفُ . إِنَّهُ تَوْمَاسُ سَوِيرَ . »

« هَذَا اسْمِي عِنْدَمَا يَضْرِبُونَنِي . نَادِنِي تَوْمَ . فَأَنَا تَوْمَ عِنْدَمَا أَكُونُ
لَطِيفًا . »

وَبَدَأَ تَوْمَ يَكْتُبُ شَيْئًا ، وَأَرَادَتْ هِيَ أَنْ تَرَى مَا يَكْتُبُ .

قَالَ : « إِنَّهُ لَا شَيْءَ . »

« أَرْجُوكَ دَعْنِي أَرَاهُ . »

« لَا ، سَتَقُولِينَ لِلْآخَرِينَ . »

« لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ . فِي الْحَقِيقَةِ لَنْ أَقُولَ لِأَيِّ شَخْصٍ . وَالْآنَ
دَعْنِي أَرَى مَا كَتَبْتَ . »

وَوَضَعَتْ الْفَتَاةُ يَدَهَا الصَّغِيرَةَ فَوْقَ يَدِهِ وَحَاوَلَتْ أَنْ تَرَى .
وَتَظَاهَرَ تَوْمَ بِمَنْعِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَزَاحَ يَدَهُ بِطُءٍ فَرَأَتْ عِبَارَةً : « أَنَا
أُحِبُّكَ . »

وَضَرَبَتْهُ عَلَى يَدِهِ قَائِلَةً : « يَا لَكَ مِنْ وَلَدٍ سَيِّئٍ ! »

وَلَكِنْ ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهَا نَظْرَةٌ سَعِيدَةٌ .

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ شَعَرَ توم بِيدِهِ عَلَى أُذُنِهِ ، وَرَفَعَهُ النَّاظِرُ مِنْ أُذُنِهِ
وَقَادَهُ إِلَى مَكَانِهِ عِبرَ الْحَجَرَةِ . وَضَحِكَ الْأَوْلَادُ وَالْبَنَاتُ ، وَلَكِنَّ
النَّازِرَ لَمْ يَفْهَمْ بَأَيَّةِ كَلِمَةٍ . وَكَانَتْ أُذُنُ توم تُؤَلِّمُهُ ، وَلَكِنَّ قَلْبَهُ
كَانَ فَرِحًا . وَحَاوَلَ أَنْ يَسْتَذْكَرَ دَرْسَهُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ صَعْبًا .

الفصل الخامس

مشاجرة

لَقِيَ توم بِكِي ثَاتَشَر بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ وَقَالَ لَهَا :
« تَظَاهَرِي بِأَنَّكَ ذَاهِبَةٌ إِلَى مَنْزِلِكَ ، وَلَكِنْ أَرْجِعِي عِنْدَمَا تَصِلِينَ
إِلَى نَاصِيَةِ الشَّارِعِ حَيْثُ سَأَقَابِلُكَ هُنَاكَ . »

وَأَفَقَتْ بِكِي وَانْصَرَفَتْ مَعَ بَعْضِ الْفَتَيَاتِ عَلَى حِينِ انْطَلَقَ توم
مَعَ عَدَدٍ مِنَ الْفَتَيَاتِ . وَلَكِنْ سَرَّعَانَ مَا عَادَ هُوَ وَبِكِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ .
وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَخْصٌ آخَرُ غَيْرَهُمَا ، وَجَلَسَا مَعًا . وَأَعْطَى توم قَلَمَ
الرُّصَاصِ إِلَى بِكِي وَوَجَّهَ يَدَهَا وَهِيَ تَرَسُّمٌ بَيْتًا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَ
الْاِثْنَانِ يَتَكَلَّمَانِ .

سَأَلَهَا توم : « هَلْ وَعَدْتِ أَيَّ شَخْصٍ بِالزَّوْاجِ ، يَا بِكِي ؟ »

« لَا ، مُطْلَقًا . »

« هَلْ تُرِيدِينَ أَنْ تَتَزَوَّجِي ؟ »

قَالَتْ : « لَا أَعْرِفُ . مَاذَا يَخْدُثُ إِذَا وَعَدْتُ ؟ »

« لَا شَيْءَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَعِدِي . »

« هَلْ يَفْعَلُ الْجَمِيعُ ذَلِكَ ؟ »

« نَعَمْ ، كُلُّ وَاحِدٍ يُحِبُّ شَخْصًا يَعِدُهُ بِالزَّوْاجِ . لَقَدْ كَتَبْتُ لَكَ

عِبَارَةً ، فَهَلْ تَذْكُرِينَهَا ؟ لَقَدْ رَأَيْتَهَا . »

لَمْ تُجِبْهُ بِكِي .

قَالَ توم : « هَلْ أَهْمِسُ بِهَا لَكَ ؟ » فَلَمْ تَرْفُضْ بِكِي ، فَهَمَسَ

توم بِهَا إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ : « وَالْآنَ قُولِيهَا . »

قَالَتْ بِكِي : « أَدِرْ وَجْهَكَ بَعِيدًا حَتَّى لَا تَرَانِي . »

وَأَدَارَ توم وَجْهَهُ بَعِيدًا فَهَمَسَتْ بِطَءٍ : « أَنَا - أَحِبُّكَ . » ثُمَّ

قَفَزَتْ وَجَرَّتْ حَوْلَ الْحُجْرَةِ ، وَجَرَى توم وَرَاءَهَا وَأَمْسَكَ بِهَا ،

فَوَعَدْتَهُ بِالزَّوْاجِ .

قَالَ : « وَالْآنَ هَذَا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ الْآنَ لَا يَجِبُ أَنْ

تُجِيبِي أَيَّ شَخْصٍ غَيْرِي . وَلَا بُدَّ أَنْ تَسِيرِي مَعِي وَنَحْنُ فِي طَرِيقِنَا

إِلَى الْمَدْرَسَةِ . وَلَا يَجِبُ أَنْ تَتَكَلَّمِي مُطْلَقًا مَعَ الْأَوْلَادِ الْآخَرِينَ . »

قَالَتْ : « هَذَا جَمِيلٌ . لَمْ أَسْمَعْ بِهَذَا مِنْ قَبْلُ مُطْلَقًا . »

قَالَ : « نَعَمْ ، هَذَا جَمِيلٌ . إِنَّ آمِي لورانس وأنا ... »

وَعِنْدَمَا رَأَى عَيْنَيْهَا اتَّسَعَتَا فَهَمَ الْخَطَأَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ .

قَالَتْ : « توم ! هُنَاكَ فَتَاةٌ أُخْرَى . إِنَّنِي لَسْتُ الْفَتَاةَ الْوَحِيدَةَ ... »

وَبَدَأَتْ تَبْكِي .

قَالَ توم : « لَا تَبْكِي ، فَأَنَا لَا أَحِبُّ آمِي لورانس الْآنَ ! »

« أَحَقًّا مَا تَقُولُ ، يَا توم ؟ » ثُمَّ وَضَعَتْ وَجْهَهَا قُبَالَهَ الْحَائِطِ ،

وَبَكَتْ مَرَّةً أُخْرَى .

وَحَاوَلَ توم أَنْ يَضَعَ ذِرَاعَهُ حَوْلَهَا ، وَلَكِنَّهَا دَفَعَتْهُ بَعِيدًا ، فَغَادَرَ

حُجْرَةَ الْفَصْلِ وَوَقَفَ فِي الْخَارِجِ وَانْتَظَرَ ، وَكَانَ يَنْظُرُ نَحْوَ الْبَابِ

أَحْيَانًا ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْحُجْرَةِ .

وَبَعْدَ لِحَظَاتٍ دَخَلَ توم إِلَى الْحُجْرَةِ ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ تَبْكِي

بِالْقُرْبِ مِنَ الْحَائِطِ .

نَادَاهَا : « بِكِي ! »

فَلَمْ تُجِبْهُ .

وَكَانَ فِي جَيْبِ مِعْطَفِهِ أَكْرَةُ بَابِ مَعْدِنِيَّةٍ يَعْتَبِرُهَا كَنْزُهُ الشَّمْهِنَ ،

فَأَخْرَجَهَا مِنْ جَيْبِهِ وَقَدَّمَهَا إِلَيْهَا ، وَلَكِنَّهَا أَزَاحَتْ يَدَهُ فَسَقَطَتْ عَلَى
الْأَرْضِ . وَتَرَكَ تَوْمَ الْأَكْرَةِ عَلَى الْأَرْضِ وَغَادَرَ الْمَبْنَى ، وَلَمْ يَعُدْ إِلَى
الْمَدْرَسَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَرَأَتْ بَيْكِي الْأَكْرَةَ مُلْقَاةً عَلَى الْأَرْضِ وَوَقَفَتْ تَنْتَظِرُ ، وَلَكِنْ
تَوْمَ لَمْ يَعُدْ . فَجَرَتْ نَحْوَ الْبَابِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَرَهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ .
لَقَدْ ذَهَبَ !

وَنَادَتْ عَلَيْهِ : « تَوْم ! تَوْم ! عُدْ ، يَا تَوْم ! »

لَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ جَوَابٌ ، فَعَادَتْ تَبْكِي مِنْ جَدِيدٍ . وَسَرَّعَانَ
مَا عَادَ الْأَوْلَادُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَكَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَهْدَأَ . وَكَانَتْ فِتْرَةٌ
بَعْدَ الظُّهْرِ طَوِيلَةً وَحَزِينَةً .

الفصل السادس في المقابر

سَارَ تَوْمَ لِمَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ فِي الْحُقُولِ ثُمَّ دَخَلَ الْغَابَةَ ، وَهُنَاكَ جَلَسَ
لِيُفَكِّرَ فِي الْحَيَاةِ . وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ هَادِئًا تَمَامًا ، لَكِنَّهُ شَعَرَ
بِحُزْنٍ . فَمَا الْخَطَأَ الَّذِي اقْتَرَفَهُ ؟ فَالْفِتَاةُ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ قَدْ تَصَرَّفَتْ
بِطَرِيقَةٍ سَيِّئَةٍ نَحْوَهُ . وَوَدَّ أَنْ يَمُوتَ ، وَلَكِنْ لِفِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ فَقَطْ .
وَتَسَاءَلَ : « بِمَاذَا سَتَشْعُرُ إِذَا ذَهَبْتَ أَنَا بَعِيدًا ؟ وَإِلَى أَيِّ مَكَانٍ
يُمْكِنُ أَنْ أَذْهَبَ ؟ »

فَأَلَى أَيِّ مَكَانٍ يُمْكِنُ أَنْ يَذْهَبَ ؟ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصْبَحَ جُنْدِيًا ،
وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُهُ أَنْ يَذْهَبَ بَعِيدًا إِلَى بِلَادٍ أُخْرَى . وَيُمْكِنُهُ أَيْضًا أَنْ
يَعُودَ بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ ، وَبَعْدَ خَوْضِ مَعَارِكٍ كَثِيرَةٍ . لَا ! ثَمَّةُ فِكْرَةٍ
أَفْضَلُ مِنْ هَذِهِ . يُمْكِنُهُ الْانْضِمَامُ إِلَى الْهِنْدُودِ الْحُمْرِ لِصَيْدِ الْحَيَوَانَاتِ
الْبَرِّيَّةِ . وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَرْحَلَ إِلَى الْجِبَالِ الشَّاهِقَةِ الْبَعِيدَةِ ، وَيُمْكِنُهُ أَنْ

يَطْلِي وَجْهَهُ بِالأَصْبَاحِ وَيَضَعُ رِيشًا عَلَى رَأْسِهِ ، وَيُمْكِنُهُ أَنْ يُصْبِحَ
رَئِيسًا عَظِيمًا لِلْهُنُودِ الْحُمْرِ ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَعُودَ وَيَدْخُلَ
الْمَدْرَسَةَ فِي صَبَاحِ أَحَدِ الأَيَّامِ ، وَيَفَاجِئُ الْمُدْرَسَ وَالتَّلَامِيذَ مَعًا .
وَلَكِنْ لَا ، فَثَمَّةٌ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ . يُمَكِّنُهُ الاسْتِيلَاءُ عَلَى
سَفِينَةٍ يُهَاجِمُ بِهَا السُّفْنَ الأُخْرَى فِي الْبَحْرِ . وَكَانَ قَدْ سَمِعَ عَنْ
الْقَرَّاصِنَةِ وَهُوَ نَفْسُهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ قُرْصَانًا . نَعَمْ ، فَهَذَا هُوَ أَفْضَلُ
الأَشْيَاءِ كُلِّهَا . وَرَاحَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ : « سَأَكُونُ قُرْصَانًا مَشْهُورًا ،
وَعِنْدَمَا تَعُودُ سَفِينَتِي إِلَى بَلَدِي سِيرَى النَّاسُ الْعِلْمَ الْأَسْوَدَ وَسَوْفَ
يَهْمِسُونَ بِاسْمِي . نَعَمْ ، سَأَكُونُ قُرْصَانًا وَسَاجُوبُ الْبِحَارِ ، وَسَأُغِيرُ
عَلَى السُّفْنَ وَسَأُصْبِحُ غَنِيًّا وَمَشْهُورًا » .

وَلَكِنْ فِي التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ مَسَاءً ذَهَبَ تومُ إِلَى فِرَاشِهِ . لَقَدْ
عَادَ إِلَى بَيْتِ خَالَتِهِ ، وَكَانَ سَيِّدٌ مُسْتَعْرِقًا فِي النَّوْمِ وَلَكِنْ تومُ ظَلَّ
يَقِظًا . سَمِعَ السَّاعَةَ تَدُقُّ عَشْرَ دَقَّاتٍ وَلَكِنَّهُ انْتَضَرَ . فَكُلُّ شَيْءٍ
هَادِئٍ مِنْ حَوْلِهِ ، وَلَكِنْ سَمِعَ بَعْضَ أَصْوَاتٍ خَافَتِهِ . سَمِعَ نُبَاحَ
كَلْبٍ مِنْ بَعِيدٍ ، ثُمَّ كَادَ يَغْلِبُهُ النَّوْمُ . وَلَكِنْ بَعْدَ الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ
مَسَاءً بِقَلِيلٍ ، سَمِعَ مُوَاءَ قِطْطَةٍ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَحْلُمُ عِنْدَمَا سَمِعَ مُوَاءَ
الْقِطْطَةِ ، وَكَانَ جُزْءًا مِنَ الْحُلْمِ . وَاسْتَيْقَظَ تومُ عِنْدَمَا فَتَحَ شَخْصَ
نَافِذَتِهِ وَآلَقَى مِنْهَا زُجَاجَةً فَارَعَةً .

وَاسْتَيْقَظَ تومُ مِنْ نَوْمِهِ تَمَامًا . وَكَانَ مُوَاءُ الْقِطْطَةِ هُوَ الإِشَارَةُ الَّتِي
حَدَّدَهَا لَهُ هَاكِلِيرِي . وَفِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ارْتَدَى تومُ مَلَابِسَهُ وَخَرَجَ
مِنَ النَّافِذَةِ ، وَسَارَ عَلَى طُولِ السَّطْحِ وَقَلَّدَ مُوَاءَ الْقِطْطَةِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ ،
ثُمَّ قَفَزَ إِلَى السَّطْحِ السُّفْلِيِّ وَمِنَهُ إِلَى الأَرْضِ .

وَكَانَ هَاكِلِيرِي فَنٌ فِي انْتِظَارِهِ ، وَسَارَ الاثْنَانِ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ .
وَبَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ وَصَلَا إِلَى الْمَقَابِرِ ، وَكَانَتْ قَدِيمَةً وَتَقَعُ فَوْقَ تَلٍّ
عَلَى بَعْدِ كِيلُومَتَرَيْنِ مِنَ الْقَرْيَةِ . وَكَانَ يُحِيطُ بِهَا سُورٌ قَدِيمٌ وَيَنُمُو
العُشْبُ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى أَرْضِهَا . وَكَانَتْ بَعْضُ قِطْعِ الخَشَبِ
الْقَدِيمِ تُسْتَخْدَمُ كَشَوَاهِدِ قُبُورٍ ، لَكِنْ أَنَاسًا قَلِيلِينَ كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
قِرَاءَةَ الأَسْمَاءِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَيْهَا .

وَهَبَّتْ رِيحٌ خَفِيفَةٌ فَأَحْدَثَتْ أَصْوَاتًا خَافَتَهُ بَيْنَ أَغْصَانِ الأشْجَارِ .
وَشَعَرَ تومُ بِالْخَوْفِ مِنَ الأشْبَاحِ ، وَلَمْ تَرْفَعْ الرِّيحُ ، فَقَالَ لَهَا كِلِيرِي :
« رُبَّمَا كَانَتْ الأشْبَاحُ تَحْتَجُّ بِسَبَبِ وُجُودِنَا هُنَا » . وَبَعْدَ قَلِيلٍ كَانَ
الْاِثْنَانِ قَدْ اقْتَرَبَا مِنْ أَحَدِ الْقُبُورِ ، فَوْقَهَا يَنْتَظِرَانِ تَحْتَ ثَلَاثَةِ أَشْجَارٍ
ضَخْمَةٍ .

سَأَلَ تومُ : « هَلِ الْمَوْتَى رَاضُونَ عَنْ وُجُودِنَا هُنَا ؟ تُرَى هَلْ
يُرِيدُونَا بِالقُرْبِ مِنْ قُبُورِهِمْ ، يَا هَاك ؟ »

أجابَه هَاكِلِيرِي : « لَا أَعْرِفُ ، فَأَنَا لَا أَحِبُّ كَثِيرًا أَنْ أَكُونَ هُنَا ؛ وَأَنْتَ ؟ »

« لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ هُنَا . وَلَكِنْ هَلْ تَظُنُّ أَنَّ هُورِسَ وَيْلِيَامزَ يَسْمَعُنَا الْآنَ ؟ »

رَدَّ هَاكِلِيرِي : « بِالطَّبَعِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْمَعَنَا ، وَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ رُوحَهُ تَسْتَطِيعُ سَمَاعَنَا . »

تَوَقَّفَ الْحَوَارُ ، ثُمَّ لَمَسَ تومَ ذِرَاعَ هَاكِلِيرِي ، الَّذِي سَأَلَهُ : « مَا الْأَمْرُ ، يَا تومَ ؟ » وَفَجَأَةً دَقَّ قَلْبَاهُمَا بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ .

« أَلَمْ تَسْمَعْ ذَلِكَ الصَّوْتَ ؟ هَا هُوَ ذَا يَعُودُ يُسْمَعُ مَرَّةً أُخْرَى . »

« تومَ ! إِنَّهُمْ قَادِمُونَ ! الْأَشْبَاحُ قَادِمَةٌ ! مَاذَا سَنَفْعَلُ ؟ »

رَدَّ تومَ : « لَا أَدْرِي ! هَلْ يَرَوْنَنَا ؟ »

بِالطَّبَعِ سَيَّرَوْنَنَا ؛ فَالْأَشْبَاحُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ كَالْقِطْطِ .

هَمَسَ تومَ : « رُبَّمَا لَا يُلاحِظُونَنَا إِذَا لَمْ نَأْتِ بِأَيَّةِ حَرَكَةٍ . »

وَحَتَّى الْاِثْنَانِ رَأْسَيْهِمَا إِلَى أَسْفَلٍ ، وَتَمَسَّكَمَا بِالْهُدُوءِ التَّامِّ .

لَكِنَّهُمَا سَمِعَا بَعْضَ أَصْوَاتٍ فِي نِهَآيَةِ الْمَقَابِرِ .

قَالَ تومَ بِهَدُوءٍ : « انْظُرْ ! مَا هَذَا ؟ »

« أَشْبَاحَ ! إِنَّهَا تَحْمِلُ مَعَهَا نَارًا ! هَذَا مُرْعِبٌ ، يَا تومَ ! »

وَتَحَرَّكَتْ بَعْضُ أَشْكَالٍ غَرِيبَةٍ نَحْوَ الْوُلْدَيْنِ بَيْنَ الْقُبُورِ . وَكَانَتْ تَحْمِلُ مِصْبَاحًا قَدِيمًا ، فَهَمَسَ هَاكِلِيرِي فِي أُذُنِ تومَ : « إِنَّهَا أَرْوَاحُ شَرِيرَةٍ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . ثَلَاثَةٌ مِنْهَا ! لَا بُدَّ أَنْ نُصَلِّيَ ! تومَ ! هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُصَلِّيَ ؟ »

قَالَ تومَ : « سَأَحَاوِلُ . وَلَكِنَّهَا لَنْ تُؤْذِنَا . »

وَعِنْدَئِذٍ قَالَ هَاكِلِيرِي : « انْصَبْتُ ! هَلْ تَسْمَعُ ؟ إِنَّهُمْ بَشَرٌ ! وَهَذَا صَوْتُ مَا فِ بَوْتَرٍ ، وَصَاحِبُ الصَّوْتِ الْآخِرِ هُوَ رَدُّ جَوْ . »

« نَعَمْ . إِنَّكَ مُصِيبٌ ؛ وَهَذَا الرَّجُلُ أَسْوَأُ مِنَ الرُّوحِ الشَّرِيرَةِ ؟ »

وَوَصَلَ الرَّجَالُ الثَّلَاثَةُ إِلَى الْقَبْرِ ، وَكَانُوا عَلَى بُعْدٍ أَمْتَارٍ قَلِيلَةٍ . وَكَانَتْ مَعَهُمْ عَرَبَةٌ صَغِيرَةٌ وَبَعْضُ الْحِجَالِ .

قَالَ صَاحِبُ الصَّوْتِ الثَّالِثِ : « هَا هُوَ ذَا ! هَا هُوَ ذَا الْقَبْرِ ! » وَكَشَفَ ضَوْءَ الْمِصْبَاحِ عَنْ وَجْهِ الطَّبِيبِ الشَّابِّ رُونِسُونِ .

وَبَدَأَ رَجُلَانِ يَفْتَحَانِ الْقَبْرَ عَلَى حِينِ جَلَسِ الطَّبِيبِ بِالْقُرْبِ مِنْ

شَجَرَةٍ يُرَاقِبُهُمَا ، ثُمَّ قَالَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ : أَسْرِعَا ! اَعْمَلَا بِأَقْصَى
سُرْعَةٍ !

وَأَخْرَجَ الرَّجُلَانِ جُثَّةً ، وَوَضَعَاهَا عَلَى الْعَرَبَةِ ثُمَّ التَفَتَ بُوْتَرُ
نَاحِيَةَ الطَّيِّبِ وَقَالَ : « إِنَّ الْجُثَّةَ جَاهِزَةٌ الْآنَ ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ خَمْسَةَ
دُولَارَاتٍ زِيَادَةً ، فَإِذَا لَمْ تَدْفَعْ فَسَتَبْقَى الْجُثَّةُ هُنَا . »

قَالَ رَدَّ جَو : « هَذَا صَحِيحٌ ! »

أَجَابَ الطَّيِّبُ : « وَلَكِنِّي دَفَعْتُ لَكُمْ فِعْلًا ! »

قَالَ رَدَّ جَو : « نَعَمْ ، بَلْ أَنْتَ فَعَلْتَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَمُنْذُ
خَمْسِ سَنَوَاتٍ دَخَلْتُ مَطْبَخَ أَبِيكَ ، وَلَمْ أَطْلُبْ دُولَارَاتٍ بَلْ طَلَبْتُ
طَعَامًا ؛ فَطَرَدْتَنِي أَنْتَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ قَبِضَ عَلَيَّ أَبُوكَ ، وَأَدْخَلَنِي
السَّجْنَ ، وَقَالَ إِنَّنِي لِرَّصٍّ . وَبِالطَّبْعِ لَمْ أَنْسَ ذَلِكَ ؛ فِدِمَاءَ الْهِنُودِ
الْحُمْرِ تَجْرِي فِي عُرُوقِي وَأَنَا لَمْ أَنْسَ . »

وَكَانَ رَدَّ جَوُ وَاقِفًا أَمَامَ الطَّيِّبِ مُبَاشَرَةً عِنْدَمَا سَدَّدَ لَهُ الطَّيِّبُ
لِكُمَةً أَسْفَطَتْهُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَصَاحَ بُوْتَرُ : « كَفَّ عَنْ ذَلِكَ ! لَا
تَضْرِبْ صَدِيقِي ! »

وَهَجَمَ بُوْتَرُ عَلَى الطَّيِّبِ ، وَدَارَ بَيْنَهُمَا قِتَالٌ عَنِيفٌ . وَهَبَ رَدَّ
جَوُ وَاقِفًا مَرَّةً أُخْرَى ، وَالتَّقَطَ سِكِّينَ بُوْتَرُ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ .



رَاقِبَ رَدُّ جَوِ الْقِتَالِ عَنْ كَثَبٍ ، فَشَاهَدَ الطَّيِّبُ يَلْتَقِطُ لَوْحًا
خَشِيًّا مِنْ فَوْقِ قَبْرِ وَيْلَامِز ، وَيَضْرِبُ بِهِ بُوْتَرُ الَّذِي هَوَى عَلَى
الْأَرْضِ كَقِطْعَةِ حَجَرٍ .

وَرَأَى رَدُّ جَوَ أَنَّ الْفُرْصَةَ مُتَاحَةً لَهُ ، فَانْقَضَ عَلَى الطَّيِّبِ ،
وَأَعْمَدَ السُّكَّيْنَ فِي صَدْرِهِ ، وَسَقَطَ الطَّيِّبُ جُثَّةً هَامِدَةً .

وَكَانَ الْوَلَدَانِ يُرَاقِبَانِ الْمَعْرَكَةَ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ . وَلَكِنْ سَرَّعَانَ
مَا عَبَرَتْ سَحَابَةٌ حَجَبَتْ ضَوْءَ الْقَمَرِ ، وَأَسْرَعَ تَوَمَ وَهَّا كِلَيْهِمَا
بِالْهَرَبِ .

وَعِنْدَمَا مَرَّتِ السَّحَابَةُ ، نَظَرَ رَدُّ جَوَ إِلَى الْجُثَّتَيْنِ ، وَسَرَّقَ نُقُودَ
الطَّيِّبِ ، ثُمَّ وَضَعَ السُّكَّيْنَ فِي يَدِ بُوْتَرِ الْيَمْنَى ، وَجَلَسَ يَنْتَظِرُ .

وَمَرَّتْ خَمْسُ دَقَائِقَ ، ثُمَّ تَحَرَّكَ بُوْتَرُ وَهُوَ يَتَوَجَّعُ ، وَأَخِيرًا
فَتَحَّ عَيْنَيْهِ ؛ فَرَأَى السُّكَّيْنَ فِي يَدِهِ الْيَمْنَى ، فَأَلْقَى بِهَا ثُمَّ نَهَضَ
وَاقْفًا .

تَسَاءَلَ بُوْتَرُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ : « مَاذَا حَدَّثَ ، يَا جَو ؟ »

رَدُّ رَدُّ جَوَ : « إِنَّهُ شَيْءٌ فَظِيعٌ ، يَا بُوْتَرُ ! »

سَأَلَهُ بُوْتَرُ : « وَلِمَاذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ »

صَاحَ رَدُّ جَوَ : « أَنَا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا . »

وَارْتَعَشَ بُوْتَرُ ، وَامْتَنَعَ وَجْهَهُ ، وَنَظَرَ إِلَى جُثَّةِ الطَّيِّبِ مَدْعُورًا ،
ثُمَّ قَالَ : « لَا أَتَذَكَّرُ شَيْئًا عَنْ مَقْتَلِ الطَّيِّبِ . لَقَدْ كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ
بَعْضِ دُولَارَاتِ زِيَادَةَ ، وَكُنَّا قَدْ أَخْرَجْنَا جُثَّةَ وَيْلَامِز مِنَ النَّعْشِ ، ثُمَّ
دَارَ قِتَالٌ . وَلَكِنْ كَيْفَ حَدَّثَ هَذَا ؟ هَلْ فَعَلْتُ أَنَا ذَلِكَ ؟ إِنَّهُ
شَيْءٌ فَظِيعٌ ! لَقَدْ كَانَ شَابًّا صَغِيرًا ! آه ، يَا جَو ! »

قَالَ جَوَ : « كُنْتُمَا تَتَقَاتَلَانِ ، وَضَرَبَكَ الطَّيِّبُ بِاللُّوحِ فَسَقَطْتَ
عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ قَفَزْتَ مِنْ سَقَطَتِكَ وَبِيَدِكَ السُّكَّيْنَ فَطَعَنْتَهُ بِهَا ،
وَفِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ ضَرَبَكَ هُوَ بِاللُّوحِ الْخَشِيِّ مَرَّةً أُخْرَى ، وَسَقَطْتَ
وَزَلَلْتَ هُنَاكَ كَرَجُلٍ مَيِّتٍ . »

قَالَ بُوْتَرُ بِحُزْنٍ : « لَمْ يَسْبِقْ لِي أَنْ قَتَلْتُ أَحَدًا . لَا تَقُلْ شَيْئًا
لَأَيِّ إِنْسَانٍ ، يَا جَو . قُلْ إِنَّكَ لَنْ تَقُولَ شَيْئًا . أَنْتَ تَعْلَمُ مِقْدَارَ حُبِّي
لَكَ . لَا تَقُلْ شَيْئًا لِأَحَدٍ أَرْجُوكَ . »

وَجَثَا الْمُسْكِينُ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فِي اتِّجَاهِ وَجْهِ جَوِ الَّذِي أَجَابَهُ :
« لَقَدْ كُنْتُ دَائِمًا أُمِينًا مَعِي ، يَا مَافُ بُوْتَرُ . لَنْ أَقُولَ شَيْئًا لِأَيِّ
إِنْسَانٍ . »

رَدَّ عَلَيْهِ بُوْتَرُ : « شُكْرًا ، يَا جَو ، شُكْرًا ! » ثُمَّ أَخَذَ يَمُكِي .

قَالَ جَوْ بِخُشُونَةٍ : « كُفَّ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَادْهَبِ الْآنَ . اهْرُبْ مِنْ هُنَا . سِرْ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ، وَأَنَا سَأَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ الْمُقَابِلِ . »
وَأَسْرَعَ بُوتَرٌ بِالْفِرَارِ تَارِكًا السُّكَّانَ عَلَى الْأَعْشَابِ .

الفصل السابع توم قلبه يتحطم

جَرَى الْوَلَدَانِ إِلَى الْقَرْيَةِ بِسُرْعَةٍ ، وَكَانَا خَائِفَيْنِ مِنْ كُلِّ ظِلٍّ وَقَعَ نَظَرُهُمَا عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُمَا وَصَلَا سَالِمِينَ إِلَى مَبْنَى قَدِيمٍ فِي الْقَرْيَةِ ، وَكَانَا مُرْهَقَيْنِ لِلْغَايَةِ ، وَأَخَذَا يَلْتَقِطَانِ أَنْفَاسَهُمَا بِصُعُوبَةٍ . وَجَلَسَا عَلَى الْأَرْضِ ، وَظَلَا صَامَتَيْنِ لَوْقَتٍ طَوِيلٍ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ تَوْمٌ مُتَسَائِلًا : « مَا الَّذِي سَيَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ ، يَا هَاكَ ؟ »

« إِذَا مَاتَ الدَّكْتُورُ رُونِسُونُ فَسَيُشْنَقُ شَخْصٌ مَا . إِنِّي أَعْرِفُ ذَلِكَ . »

سَأَلَ تَوْمٌ : « مَنْ الَّذِي سَيَتَكَلَّمُ ؟ هَلْ نَحْكِي نَحْنُ عَمَّا حَدَثَ ؟ »

« إِذَا قُلْنَا فَسَوْفَ يَقْتُلُنَا رَدُّ جَوْ أَيْضًا ؟ »

« لَنْ يَقْتُلَنَا إِذَا شِئْنَا » .

قَالَ هَاكِلْبِرِي : « رَبِّمَا يَهْرَبُ . دَعُ مَافَ بُوْتَرُ يُبْلَغُ عَنْ
الْجَرِيْمَةِ ؛ فَلَنْ نَقُولَ نَحْنُ شَيْئًا » .

« هَذَا صَحِيحٌ ، لَنْ نَقُولَ شَيْئًا . وَلَا بُدَّ أَنْ يَعِدَ كُلُّ مَنْ آخَرَ » .

قَالَ هَاكِلْبِرِي : « يُمَكِّنُ أَنْ يَعِدَ كُلُّ مَنْ آخَرَ ، وَلَكِنْ ، هَذَا
لَيْسَ كَافِيًا . لَا بُدَّ أَنْ نَكْتُبَ الْوَعْدَ وَنَوَقِّعَهُ بِالدَّمِ » .

وَأَقْبَلَ تَوْمٌ ، وَكُتِبَ الْعِبَارَاتُ التَّالِيَةُ عَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْخَشَبِ :

سِيلْتَرَمِ هَاكِلْبِرِي فَنَ وَتَوْمِ سَوِيرِ بِالصَّمْتِ هَوْلِ
هَذَا الْأَمْرِ . وَيَتَمَنَّى أَنْ يَمُوتَ مَنْ يَقُولُ مِنْهُمَا شَيْئًا .

وَوَقَّعَ كُلُّ مَنْهُمَا بِدَمِ إِيْهِمَا ، ثُمَّ قَامَا بِدَفْنِ قِطْعَةِ الْخَشَبِ
بِالْقُرْبِ مِنْ جِدَارٍ ، وَأَنْشَدَا بَعْضَ الْأَنْشِيدِ الْحَزِينَةِ فَوْقَ الْخَشَبَةِ . وَلَمْ
يَفْطِنَا إِلَى شَخْصٍ كَانَ واقِفًا فِي الظَّلَامِ فِي النَّهْيَةِ الْآخَرَى
لِلْمَبْنَى .

وَسَمِعَ الْاِثْنَانِ نُبَاحًا كَثِيْبًا ، فَاعْتَبَرَاهُ شَوْمًا ، وَقَالَ تَوْمٌ : « إِنَّ
شَخْصًا مَا فِي خَطَرٍ ! » ثُمَّ سَمِعَا صَوْتًا آخَرَ .

قَالَ هَاكِلْبِرِي : « إِنَّ هُنَاكَ شَخْصًا نَائِمًا » . وَسَارَا فِي اتِّجَاهِ

الصَّوْتِ ، فَشَاهَدَا رَجُلًا عَلَى الْأَرْضِ ، وَعِنْدَمَا نَظَرَا إِلَيْهِ مِنْ قُرْبٍ
رَأَيَا وَجْهَ مَافِ بُوْتَرِ ، وَقَدْ وَقَفَ كَلْبٌ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، وَقَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ
نَحْوَ السَّمَاءِ ، وَرَاحَ يَعْوِي عَوَاءً حَزِينًا .

قَالَ الْاِثْنَانِ مَعًا : « إِنَّ بُوْتَرِ فِي خَطَرٍ ، وَسَوْفَ يَمُوتُ بَعْدَ قَلِيلٍ » .

وَبَعْدَ ذَلِكَ افْتَرَقَ الْوَلَدَانِ ، وَعَادَ تَوْمٌ إِلَى بَيْتِهِ عَنْ طَرِيقِ النَّافِذَةِ .
وَكَانَ سَيِّدٌ مُسْتَقِظًا ، وَلَكِنْ تَوْمٌ لَمْ يَفْطِنْ إِلَى ذَلِكَ .

وَعِنْدَمَا اسْتَقِظَ تَوْمٌ فِي الصَّبَاحِ ، كَانَ سَيِّدٌ قَدْ غَادَرَ الْمَنْزَلَ .
وَارْتَدَى تَوْمٌ مَلَابِسَهُ عَلَى عَجَلٍ ، وَنَزَلَ إِلَى الدَّوْرِ السُّفْلِيِّ ، وَكَانَتْ
الْعَائِلَةُ لَا تَزَالُ حَوْلَ مَائِدَةِ الطَّعَامِ ، وَلَكِنْ أَفْرَادَهَا كَانُوا قَدْ انْتَهَوْا
مِنْ فُطُورِهِمْ . وَلَمْ يُوجِّهْ أَيُّ وَاحِدٍ كَلِمَةً أَوْ لَوْمًا لِتَوْمٍ ، وَلَمْ يَقُلْ
أَيُّ مِنْهُمْ شَيْئًا ، وَلَكِنْ عَيُونُهُمْ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنْهُ . وَسَادَ هُنَاكَ
صَمْتُ رَهِيْبٍ .

وَبَعْدَ الْفُطُورِ تَكَلَّمَتِ الْخَالَةُ بُولْلِي بِحُزْنٍ مُوجَّهَةً حَدِيثَهَا إِلَى
تَوْمٍ : « مَا الَّذِي أَفْعَلُهُ مَعَكَ ؟ »

وَرَجَّاهَا تَوْمٌ أَنْ تَعْفُو عَنْهُ ، وَوَعَدَ بِأَنْ يَحْسَنَ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ . وَكَانَ
عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ . وَضَرَبَهُ السَيِّدُ دُونِزَ لِأَنَّهُ
تَغَيَّبَ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ . وَجَلَسَ تَوْمٌ حَزِينًا ، وَنَظَرَ إِلَى الْحَائِطِ .

كَانَتْ خَالَتُهُ غَاضِبَةً مِنْهُ ، وَكَانَ السَّيِّدُ دُونِزَ غَاضِبًا مِنْهُ أَيْضًا ،
وَهُوَ نَفْسُهُ خَائِفٌ مِنْ رَدِّ جَو . كَانَ كُلُّ شَيْءٍ حَوْلَهُ لَا يَنْتَعِثُ عَلَى
الرَّضَا .

وَلَا حَظَّ تَوْمٌ شَيْئًا فِي الْوَرَقَةِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى مَكْتَبِهِ ؛ فَإِذَا بِهَا
الْأَكْرَةُ الْمَعْدِنِيَّةُ ! إِذَا فَالْفَتَاةُ بِكَيْ قَدْ أَعَادَتْهَا إِلَيْهِ . وَكَانَ ذَلِكَ
أَكْثَرُ مِمَّا يَحْتَمِلُ ؛ بَلْ كَانَتْ النِّهَايَةُ . لَقَدْ تَحَطَّمَ قَلْبُ تَوْم !

الفصل الثامن

توم يتكلم وهو نائم

فِي الْيَوْمِ التَّالِي كَانَ الْجَمِيعُ يَتَكَلَّمُونَ عَنِ الطَّبِيبِ الَّذِي قُتِلَ ،
وَعَنِ السُّكَّانِ الَّتِي عُثِرَ عَلَيْهَا مُلْقَاةً فَوْقَ الْعُشْبِ بِالْقُرْبِ مِنْ جَنَّةِ
الطَّبِيبِ ، وَعَنْ أَنَّهَا سَكِينٌ مَافِ بُوتَر ، وَعَلَى ذَلِكَ أَصْبَحَ فِي وَرْطَةٍ .
وَحَدَّثَ شَيْءٌ آخَرَ أَيْضًا ؛ فَقَدْ رَأَى شَخْصٌ مَافِ بُوتَرِ يَغْتَسِلُ فِي
غَدِيرٍ . وَكَانَ هَذَا شَيْئًا غَرِيبًا ، لِأَنَّ بُوتَرَ قَلَّمَا كَانَ يَغْتَسِلُ ، فَلِمَاذَا
اغْتَسَلَ فِي هَذَا الصَّبَاحِ بِالذَّاتِ ؟ هَلْ كَانَ يَغْسِلُ يَدَيْهِ مِنْ
الدَّمَاءِ ؟ بَلْ لَمْ يَعَثَّرْ أَحَدٌ عَلَى بُوتَر ، فَأَيْنَ ذَهَبَ ؟

وَذَهَبَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ إِلَى الْمَقَابِرِ ، فَقَدْ أَرَادُوا أَنْ يَرَوْا الْمَكَانَ
الْمُرْعَبَ ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ : « سَوْفَ يُشْنَقُ مَافِ بُوتَرِ بِسَبَبِ فَعَلْتِهِ . »
وَنَظَرَ تَوْمُ إِلَى رَدِّ جَو الَّذِي كَانَ صَامِتًا . وَعَلَا صَوْتُ : « هَا هُوَ ذَا

بوتر ! بوتر قادم !»

وأفسح الجمع المحتشد الطريق للمأمور الذي كان يقتاد بوتر
وسط الناس . وكانت عينا بوتر حزيتين ، ويملاهما الرعب . وعندما
وقف بجوار جثة الطبيب سرت في جسمه رعشة .

قال بوتر : « أنا لم أرتكب هذه الجريمة أيها الأصدقاء ! لم
أرتكبها !»

سأل أحدهم : « من الذي اتهمك ؟ هل اتهمك أحد ؟ » ونظر
بوتر إلى مصدر الصوت فرأى رد جو ، فصرخ قائلاً : « أ لم
تعدني ، يا جو ، بالآ تخير أحداً بشيء ؟ »

سأله المأمور : « هل هذه سيكتك ؟ » وأمسك العمدة بالسكين
وقربها من وجه بوتر .

رأى بوتر أن لا أمل له فقال : « قل لهم ، يا جو ؟ »

وقال جو كذبت الشعاء ، وسمعتها كل من توم وهاكليري ،
ودهباً ولكنهما لم يقولوا شيئاً . وصدق كل إنسان جو ، وذهب
بوتر إلى السجن ، وكان عليه أن يبقى فيه يوماً آخر . وساعد رد
جو في نقل جثة الطبيب .

وذات صباح ، أثناء تناول الفطور ، فاجأ سيد أخاه توم بقوله :

« توم ! توم ! إنك تتقلب كثيراً في فراشك ، وتتكلم وأنت نائم ،
لذلك لا أستطيع أن أنام . أرجوك أن تكون هادئاً في الليل . »
ارتعش توم وخفض عينيه .

وقالت الخالة بوللي : « هذه علامة سيئة . ما الذي يقلبك ،
يا توم ؟ »

أجابها توم : « لا شيء . لا أعرف أي شيء . » لكن يده كانت
ترتعش حتى إنه لم يستطع الإمساك بفنجانه جيداً .

ومضى سيد في حديثه قائلاً : « إنك تقول أشياء مرعبة ؛ فليلاً
أمس كنت تتكلم عن الدماء . قلت : « دم » وكررتها كثيراً .
وقلت إنك تريد أن تقول ... تقول ماذا ، يا توم ؟ »

ولم يجبه توم ، لأنه لم يستطع ذلك ، وظل صامتاً ومن حسن
حظه أن أنقذته الخالة بوللي بقولها : « آه ، إنك تحلم بخصوص
جريمة القتل التي حدثت في المقابر . لقد كانت جريمة بشعة .
أنا أحلم بها أيضاً ، وتقول ماري الشيء نفسه . »

وتملص توم من هذا الموقف عندما سححت له الفرصة بذلك .
وقرر أن يفعل شيئاً حيال الأمر ، فتظاهر بأن سنة من أسنانه تؤلمه .
وكان عليه أن يلف وجهه بقطعة من القماش ، وبذلك لن يتكلم

بوضوح وهو نائم . ولكن سيد أزاح القماش عن وجهه في أثناء الليل ، وأنصت إلى ما قاله توم ، وأعاد قطعة القماش إلى مكانها .

ونسي توم بالتدريج متاعبه ، وقل كلامه وهو نائم . وفي بعض الأحيان كان يذهب إلى السجن لزيارة بوتر وتزويده بما يحتاجه . وكان يشعر بالأسى نحوه ، وكذلك كان هاكلييري .

الفصل التاسع مُسْكِنُ الألم

عندما توقفت بكى تاتشر فجأة عن الذهاب إلى المدرسة ، حزن توم حزناً شديداً ، ونسي جريمة مقتل الطبيب . وأخذ يفكر : « أين بكى ؟ هل هي مريضة ؟ لعلها مشرقة على الموت . ولم تعد حياة توم سعيدة كما كانت من قبل ، وظنت خالته أنه مريض : فوجهه بكل تأكيد لا يعبر عن سعادته ، فبدأت تعطيه دواء .

وكانت الخالة بوللي تحب كل أنواع الأدوية ؛ فأى دواء جديد يظهر في المحلات يبعث في نفسها السرور . وكانت تحب القراءة عن الصحة ، وكان لديها الكثير من الكتب والأوراق التي تتناول مشاكل الصحة . وكانت تعي الكثير عن الطعام والنوم ، وتعرف أجود أنواع الملابس ، لأنها قرأت الكتب المتخصصة في الثياب . وكانت تصدق أيضاً كل شيء لأنها كانت امرأة بسيطة .

وَكَاثَتْ أَحَدَتْ فِكْرَةً تَحَدَّثَتْ عَنْهَا الْجَرَائِدُ اسْتِخْدَامُ الْمَاءِ الْبَارِدِ .
وَلَمَّا كَانَ تَوَمٌ مَرِيضًا ، لِذَلِكَ كَانَتْ تَصُبُّ الْمَاءَ الْبَارِدَ فَوْقَهُ كُلَّ
صَبَاحٍ . وَكَانَتْ تَجْعَلُهُ يَقِفُ فِي الْخَارِجِ ثُمَّ تُلْقِي بِالْمَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ
تُلْقِي فِي مَلَاءَةٍ مُبْتَلَةٍ وَتَضَعُهُ فِي الْفِرَاشِ . لَكِنْ كُلُّ هَذَا لَمْ يُحَسِّنْ
مِنْ حَالِ تَوَمٍ ، وَكَانَ حَزْنُهُ يَتَرَايِدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . وَاشْتَدَّ شَحُوبُ
وَجْهِهِ ، فَجَرَّبَتْ مَعَهُ الْحَمَامَاتِ السَّاحِنَةَ ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى ،
وَجَرَّبَتْ كَذَلِكَ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً مِنَ الْأَدْوِيَةِ ، وَلَكِنَّهَا أَيْضًا لَمْ تُفِدْهُ
بَلْ لَمْ يَقْبَلْ عَلَيْهَا تَوَمٌ ، وَفَقَدَ اهْتِمَامَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ .

وَسَمِعَتْ الْخَالَةُ بُولِي عَنْ دَوَاءٍ جَدِيدٍ ، وَكَانَ اسْمُهُ « مُسْكَنُ
الْأَلَمِ » ؛ فَاشْتَرَتْ كَمِيَّةً مِنْهُ وَجَرَّبَتْهُ عَلَى تَوَمٍ . وَكَانَ مَذَاقُ الدَّوَاءِ
حَرِيفًا يُلْهَبُ الْفَمَ كَمَا لَوْ كَانَ نَارًا . وَفَرِحَتْ الْخَالَةُ بُولِي بِهِ ،
وَأَعْطَتْ تَوَمَ بَعْضًا مِنْهُ وَرَاقِبَتِ النُّتِيجَةَ . وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الدَّوَاءَ
أَثَارَ اهْتِمَامَ تَوَمٍ ، فَقَدْ أَلْهَبَ فَمَهُ وَجَعَلَهُ يَقْفِزُ عَالِيًا فِي الْهَوَاءِ .
وَالزَّمَتْهُ الْخَالَةُ بُولِي بِأَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .

وَقَرَّرَ تَوَمٌ أَنْ يُحَدِّثَ تَغْيِيرًا ، فَلَمْ يَكُنْ رَاضِيًا بِهَذَا النَّوعِ مِنَ
الْحَيَاةِ . وَكَرِهَ الدَّوَاءَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ ، وَلَكِنَّهُ تَظَاهَرَ بِأَنَّهُ
يُجِبُّهُ ، فَكَانَ يَسْأَلُ عَنْ « مُسْكَنِ الْأَلَمِ » عِدَّةَ مَرَّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ .
وَسَرَّعَانَ مَا ضَجَّتْ خَالَتُهُ مِنْ طَلِبَاتِهِ الْمُتَكَرِّرَةِ ، فَأَخْبَرَتْهُ بِأَنْ يَأْخُذَ

الدَّوَاءَ بِنَفْسِهِ . وَلَكِنَّهَا رَاقِبَتْ زُجَاجَةَ الدَّوَاءِ سِرًّا ، وَرَأَتْ أَنَّ الدَّوَاءَ
يَنْقُصُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . وَلَمْ تَعْرِفِ الْحَقِيقَةَ ، فَقَدْ كَانَ تَوَمٌ يَسْكُبُهُ
خِلْسَةً فِي الْبُوعَةِ بِالْأَرْضِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَمَا كَانَ تَوَمٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، ظَهَرَتْ قِطَّةٌ خَالَتِهِ
وَنَظَرَتْ إِلَى الدَّوَاءِ بِشَرَاهَةِ وَقَدَّمَ لَهَا تَوَمٌ بَعْضًا مِنْهُ ، وَفَتَحَ فَمَهَا ثُمَّ
صَبَّ فِيهِ بِمِلْعَقَةٍ بَعْضَ دَوَاءِ « مُسْكَنِ الْأَلَمِ » . وَقَفَزَتِ الْقِطَّةُ
مِثْرَيْنِ فِي الْهَوَاءِ ، وَصَرَخَتْ مَدْعُورَةً ، وَانْدَفَعَتْ تَدُورُ بِسُرْعَةٍ
حَوْلَ الْحُجْرَةِ ، وَكَانَ مُوَاوَاهَا غَرِيبًا . وَرَاحَتْ تَرْقُصُ عَلَى قَدَمَيْهَا
الْخَلْفِيَّتَيْنِ ، ثُمَّ جَرَتْ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْبَيْتِ ، وَحَطَمَتْ أَشْيَاءَ



وَجَاءَتِ الْخَالَةُ بُولِي عِنْدَ سَمَاعِهَا لِتِلْكَ الْأَصْوَاتِ . وَفِي تِلْكَ
اللَّحْظَةِ قَفَزَتِ الْقِطَّةُ مِنَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَانْطَلَقَتْ بَعِيدًا . رَأَتْ
الْخَالَةَ مَا حَدَثَ ، فَتَمَلَّكْتُهَا دَهْشَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَظَنَرْتُ إِلَى توم ، وَكَانَ
مُسْتَلْقِيًا فِي الْفِرَاشِ وَغَارِقًا فِي الضُّحْكِ .

قَالَتْ : « توم ، ماذا حَدَثَ لِلْقِطَّةِ ؟ »

أَجَابَ وَهُوَ يَضْحَكُ : « لَا أَعْرِفُ ، يَا خَالَتي ! »

« مَا الَّذِي جَعَلَهَا تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ »

« لَا أَعْرِفُ ، يَا خَالَتي ، فَالْقِطَطُ تَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَمَا تَكُونُ

سَعِيدَةً ؟ »

قَالَتْ : « أَوْ حَقًّا تَفْعَلُ الْقِطَطُ ذَلِكَ ؟ » وَانْحَنَتِ الْخَالَةُ لِتَنْظُرَ
تَحْتَ الْفِرَاشِ ، ثُمَّ تَنَاوَلَتِ الْمِلْعَقَةَ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْهَا توم . وَكَفَتْ توم
عَنِ الضُّحْكِ ، فَسَأَلَتْهُ : « مَا الَّذِي فَعَلْتَهُ بِهَذِهِ الْقِطَّةِ الْمِسْكِينَةِ ؟
لَقَدْ أُعْطِيَتْهَا بَعْضُ الدَّوَاءِ . لِمَاذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ »

« لِأَنِّي أَشْعُرُ بِالْأَسْفِ أَنَّهُ لَا خَالَةَ لَهَا ، وَلَا أَحَدًا يُعْطِيهَا دَوَاءً ،
وَلَا أَحَدًا يُلْهَبُ مَعِدَتَهَا . يَا لِلْقِطَّةِ الْمِسْكِينَةِ ! »

وَأَحْسَتِ الْخَالَةُ بُولِي بِالْأَسْفِ لِحُظَّةٍ ، فَالدَّوَاءُ أَضُرَّ بِالْقِطَّةِ
وَرَبَّمَا أَضُرَّ بِتوم أَيْضًا ؛ فَوَضَعَتْ يَدَهَا بِرَفْقٍ عَلَى رَأْسِهِ قَائِلَةً : « إِنَّهُ
مُفِيدٌ لَكَ ، يَا توم ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَحْتَاجَ لِدَوَاءٍ بَعْدَ ذَلِكَ . »

وَعِنْدَمَا وَصَلَ توم إِلَى الْمَدْرَسَةِ انْتَهَرَ بِالقُرْبِ مِنَ الْبَوَابَةِ ، وَبَعْدَ
قَلِيلٍ رَأَى جِيفَ ثَائِشٍ قَادِمًا عَلَى الطَّرِيقِ ، وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُ أُخْتُ هـ
وَأَسِفَ توم لِذَلِكَ كَثِيرًا ، وَأَخَذَ يَرْقُبُ كُلَّ الْفَتَيَاتِ الْقَادِمَاتِ إِلَى
الْمَدْرَسَةِ ، وَلَكِنْ بِكِي لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُنَّ ، فَفَقَدَ كُلُّ أَمَلٍ فِي رُؤْيَيْهَا ،
وَفَجْأَةً وَصَلَتْ بِكِي .

بَدَأَ توم يَلْعَبُ بِالقُرْبِ مِنْهَا ، وَوَقَفَ وَتَكَلَّمَ بِالقُرْبِ مِنْهَا أَيْضًا
وَقَفَزَ وَجَرَى حَوْلَهَا وَقَرِيبًا مِنْهَا وَلَكِنَّهَا لَمْ تَأْبَهُ بِهِ ، فَأَلْقَى بِقُبْعَةٍ أَحَدِ
الْأَوْلَادِ عَلَى السَّطْحِ ، وَلَكِنَّهَا حَوَّلَتْ عَيْنَيْهَا عَنْهُ . وَابْتَعَدَ عَنْهَا ثُمَّ
عَادَ وَهُوَ يَعْدُو فِي اتِّجَاهِهَا ، ثُمَّ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ بِالقُرْبِ مِنْ
قَدَمَيْهَا ، فَاسْتَدَارَتْ مُبْتَعِدَةً شَامِخَةً بِأَنْفِهَا فِي الْهَوَاءِ .

وَأَنْصَرَفَ توم بِهَدوءٍ .



الفصل العاشر

القراصنة

كَانَ توم حزينًا ، لأنه لم يحز إعجاب بكي ، ولم يكن له
أصدقاء ، فضلًا عن شعوره بالغضب . وحاول أن يكون حسن
السلوك لكن لم يهتم به أحد فقرر أن يعيش حياة شريرة . وخرج
إلى الحقول وسار فيها . وسمع جرس المدرسة يدق من بعيد ، فقال
لنفسه : « لن أسمع هذا الصوت مرة أخرى ! »

وبكى قليلاً ، وفي تلك اللحظة لقي صديقه جو هاربر ، الذي
أخبره أن أمه ضربته عقاباً له على قيامه بالسرقة ، رغم أنه لم
يسرق شيئاً ، ومن الجائز أنها ضربته لسبب آخر . وهي لم تعد
تجبه ، وكان ذلك واضحاً ؛ لأنها طردته من البيت ، ولكنه ليس
غاضباً منها ، وقال لتوم إنه يتمنى لها السعادة .

واتفق الولدان على أن يعملوا معاً ، وحددا خططهما . واقترحا

توم أن يعيشا حياة الجريمة . وأعجب جو بالاقتراح إعجاباً شديداً ،
واتفقا على أن يصبحا قراصنين . وكانت ثمة جزيرة مهجورة
بالقرب منهما في نهر المسيسيبي ، وكان اسمها جزيرة جاكسون
وتنمو عليها أشجار كثيرة . وقال توم لصديقه : « سنلتقي هناك حيث
يمكننا أن نقيم لنا معسكراً . هل أحضر معي هاك ؟ » وافق جو ،
فذهب توم يبحث عن هاكليري ، الذي وافق بدوره على الاشتراك
معهم ؛ فقد كانت الأمور تستوي عنده . وسرقوا بعض الطعام ،
وراحوا يتناولونه على ضفة النهر .

وعثروا فيما بعد على طوف فسرقوه أيضاً ، ونزلوا به إلى النهر

وَأَبْحَرُوا . وَ وَقَفَ توم فِي الْوَسْطِ وَأَعْطَى أَمِيرَهُ كَالرُّبَّانِ . وَ وَصَلَ
بِهِمِ الطُّوفُ إِلَى جَزِيرَةِ جَاكْسُون ، وَكَانَتِ السَّاعَةُ تُشِيرُ إِلَى الثَّانِيَةِ
صَبَاحًا ، وَفِي الْحَالِ أَوْقَدُوا نَارًا . وَكَانُوا يَسْتَمْتِعُونَ بِوَقْتِهِمْ كَثِيرًا ،
وَتَنَاوَلُوا وَجَبَةً شَهِيَّةً مِنَ الطَّعَامِ .

وَصَاحَ توم : « هَذَا هُوَ نَوْعُ الْحَيَاةِ الْحَقَّةِ ؛ فَلَا عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَيْقِظَ
مُبَكِّرِينَ ، وَلَا عَلَيْنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَلَا عَلَيْنَا أَنْ نَغْسِلَ
وُجُوهَنَا . »

قَالَ هَاكِلِيرِي : « إِنَّ الْقَرَّاصِينَ لَا يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ أَبَدًا ؛
وَلَكِنْ مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ الْقَرَّاصِينَةُ ؟ »

رَدَّ توم : « إِنَّهُمْ يَسْتَوْلُونَ عَلَى السُّفُنِ وَيَحْرِقُونَهَا . وَيَعْثُرُونَ عَلَى
الْمَالِ فِي بَعْضِ السُّفُنِ ، فَيَذْفُونَهُ فِي أَمَاكِنَ غَرِيبَةٍ فِي جَزِيرَتِهِمْ .
وَهُنَاكَ دَائِمًا بَعْضُ الْأَشْبَاحِ فِي الْجُزْرِ ، وَهِيَ تُرَاقِبُ الْمَالَ ، وَتَبْقَى
بِجَوَارِهِ لِتَحْرُسَهُ ؟ »

وَاسْتَمَرَ حَدِيثُ الْأَوْلَادِ بَعْضَ الْوَقْتِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ ، وَكَانُوا مُتَعَبِينَ .
وَبَدَأُوا يَشْعُرُونَ أَنَّ رَحِيلَهُمْ عَنْ بُيُوتِهِمْ خَطَأً ، وَالسَّرِقَةُ خَطَأً أَيْضًا ؛
لِذَا قَرَّرُوا أَلَّا يَسْرِقُوا مَرَّةً أُخْرَى .

وَسَرَّعَانَ مَا اسْتَغْرَقُوا فِي النَّوْمِ .

الفصل الحادي عشر

زيارة غريبة

فِي الصَّبَاحِ اكْتَشَفَ الْأَوْلَادُ اخْتِفَاءَ طُوفِهِمْ ؛ فَقَدْ جَرَفَهُ النَّهْرُ
بَعِيدًا ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكْتَرِثُوا بِالْأَمْرِ . وَتَنَاوَلُوا إِفْطَارَهُمْ سَمَكًا مَشْوًيًا
شَهِيًّا ، ثُمَّ قَامَ الْقَرَّاصِينَةُ الثَّلَاثَةُ بِالتَّجْوَالِ فِي جَزِيرَتِهِمْ . وَكَانُوا
يَسْبَحُونَ فِي النَّهْرِ مَرَّةً كُلَّ سَاعَةٍ . وَلَمْ يَعُودُوا إِلَى الْمَعْسَكِ إِلَّا قَبْلَ
الْغُرُوبِ . وَتَنَاوَلُوا بَعْضَ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ لَحْمٍ ، وَجَلَسُوا صَامِتِينَ .
وَكَانُوا جَمِيعًا يَفْكُرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَلَكِنْ لَمْ يَفْهَ أَحَدُهُمْ بِكَلِمَةٍ .

وَبَيْنَمَا كَانُوا جَالِسِينَ سَمِعُوا صَوْتًا غَرِيبًا آتِيًا مِنَ النَّهْرِ ، فَذَهَبُوا
يَسْتَطْلِعُونَ الْأَمْرَ . وَعَلَى بُعْدٍ رَأَوْا بَعْضَ الْقَوَارِبِ تَحْمِلُ بَعْضَ
الرِّجَالِ ، وَكَانَ الْمَأْمُورُ وَاحِدًا مِنْهُمْ .

قَالَ توم : « إِنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَنْ جُثَّةٍ فِي النَّهْرِ ؛ فَقَدْ غَرِقَ
شَخْصٌ ! »

وَعَقَبَ هَا كِلْبِرِي : « هَذَا صَحِيحٌ . لَقَدْ فَعَلُوا الشَّيْءَ نَفْسُهُ فِي
الصَّيْفِ الْمَاضِي عِنْدَمَا مَاتَ بِيَل تِيرَنر . وَلَكِنْ تُرَى مَنْ الَّذِي
عَرَقَ ؟ »

وَرَأَى الْأَوْلَادُ الْقَوَارِبَ لِبَعْضِ الْوَقْتِ ، وَفَجَأَةً قَالَ توم : « إِنِّي
أَعْرِفُ أَنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَنَّا . يَظُنُّونَ أَنَّنَا مِتْنَا ! »

كَانُوا جَمِيعًا فِي غَايَةِ السُّرُورِ ؛ فَالنَّاسُ آسِفُونَ لِغِيَابِهِمْ . وَهَآ هُمْ
أَوْلَاءُ يَبْحَثُونَ عَنْ جُثَّتِهِمْ ، وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ يَبْكِي عَلَى فِرَاقِهِمْ .

وَفِي الْمَسَاءِ ابْتَعَدَتِ الْقَوَارِبُ ، وَعَادَ الْقَرَّاصِنَةُ الثَّلَاثَةُ إِلَى
الْمَعْسَكِرِ . وَاصْطَادُوا بَعْضَ الْأَسْمَاكِ وَطَهَّوْهَا ، وَرَاحُوا يَتَنَاوَلُونَ
وَجَبَتَهُمْ وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ قَوَارِبِ الْبَحْثِ عَنْهُمْ ، وَتَذَكَّرُوا سُكَّانَ
الْقَرْيَةِ الْمُخْتَلِفِينَ وَأَحْزَنَهُمْ ذَلِكَ ، فَتَسَاءَلَ جَو : « أَيْتَبَغِي عَلَيْنَا أَنْ
نَعُودَ ؟ » لَكِنْ توم ضَحِكَ مِنَ الْفِكْرَةِ ، وَكَذَلِكَ هَا كِلْبِرِي .

وَعِنْدَمَا حَلَّ اللَّيْلُ نَامَ هَا كِلْبِرِي وَ جَو ، فَتَسَلَّلَ توم بِهَدْوٍ وَسَارَ
بَيْنَ الْأَشْجَارِ . وَوَاصَلَ سِيرَهُ إِلَى النَّهْرِ ، ثُمَّ سَبَحَ فِيهِ حَتَّى
الشَّاطِئِ . وَفِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ وَالنِّصْفِ كَانَ فِي الْقَرْيَةِ ، وَذَهَبَ
بِهَدْوٍ صَوَّبَ بَيْتَ خَالَتِهِ ، وَسَرَّعَانَ مَا أَصْبَحَ فِي الْحَدِيقَةِ .

وَكَانَتْ ثَمَّةُ شَمْعَةٍ مُشْتَغِلَةٍ فِي إِحْدَى الْغُرَفِ . وَاسْتَطَاعَ توم أَنْ

يَرَى خَالَتَهُ وَسَيِّدَ وَمَارِي وَ الْدَّةَ جَو هَارِير ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ وَلَكِنَّهُمْ
لَمْ يَرَوْهُ . وَبِهَدْوٍ شَدِيدٍ دَخَلَ الْمَنْزِلَ وَاخْتَبَأَ تَحْتَ سَرِيرٍ . وَلَمْ يُغْلِقِ
الْبَابَ جَيِّدًا ، وَهَبَتْ عَلَى الْبَيْتِ رِيحٌ خَفِيفَةٌ .

قَالَتْ خَالَتُهُ : « أَرَى ضَوْءَ الشَّمْعَةِ يَتَرَقَّصُ . إِنِّي أَشْعُرُ بِرِيحٍ فِي
الْغُرْفَةِ . الْبَابُ ! آه ، لَقَدْ فَهَمْتُ . الْبَابُ مَفْتُوحٌ . أَغْلِقِيهِ ، يَا سَيِّدُ
مِنْ فَضْلِكَ . »

وَأَغْلَقَ سَيِّدُ الْبَابِ الَّذِي تَرَكَهُ توم مَفْتُوحًا ، ثُمَّ جَلَسَ مَرَّةً
أُخْرَى .

وَاصَلَّتِ الْخَالََةُ كَلَامَهَا : « كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَقُولُ إِنَّ توم وَلَدٌ
غَيْرُ سَيِّئٍ ؛ فَلَهُ قَلْبٌ طَيِّبٌ وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعَاقِبُهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ .
ثُمَّ رَاحَتْ تَبْكِي بِصَوْتٍ خَافٍ .

وَبَدَأَتْ وَالِدَةُ جَو هَارِير تَبْكِي هِيَ الْأُخْرَى وَقَالَتْ : « إِنَّ ابْنِي
جَو كَانَ دَائِمًا عَطُوفًا عَلَيَّ ، وَكَانَ يَسْرِقُ أحيانًا بَعْضَ الْأَشْيَاءِ ؛ لِذَا
كُنْتُ أَضْرِبُهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْرِقُ دَائِمًا . وَلَمْ أَكُنْ عَلَى حَقٍّ
دَائِمًا كُلَّمَا ضَرَبْتُهُ ؟ »

قَالَ سَيِّدُ : « لَمْ يَكُنْ توم وَلَدًا طَيِّبًا . »

صَرَخَتْ فِيهِ الْخَالََةُ بُولِي : « لَا تَقُلْ كَلِمَةً وَاحِدَةً ضِدَّ توم

العزيز ! كُنْتُ أَسْتَرِيحُ لَهُ ، وَلَكِنِّي غَضِبْتُ مِنْهُ عِنْدَمَا أُعْطِيَ الْقِطْعَةَ
جُرْعَةً مِنْ « مُسْكِنِ الْأَلَمِ » . وَأَرْجُو أَنْ يَغْفِرَ لِيَ اللَّهُ . لَقَدْ
ارْتَأَخَ تَوَمَ الْآنَ مِنْ مَتَاعِيهِ . وَوَضَعَتِ الْخَالَةُ يَدَيْهَا عَلَى وَجْهِهَا ،
وَأَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ بِصَوْتٍ عَالٍ .

كَانَ الْجَمِيعُ يَتَكُونُ فِيهَا عِداً سَيِّدٌ . حَتَّى تَوَمَ بَدَأَ يَبْكِي وَهُوَ
تَحْتَ السَّرِيرِ . وَأَرَادَ أَنْ يُطَيِّبَ خَاطِرَ خَالَتِهِ ، لَكِنَّهُ ظَلَّ فِي مَكَانِهِ
مُخْتَبِئًا . وَكَانَ الْآخَرُونَ يَتَكَلَّمُونَ عَنْ جَوْ هَارِيرَ وَعَنْهُ ، وَأَرَادَ تَوَمَ أَنْ
يُنْصِتَ لِمَا يُقَالُ .

فِي بَادِي الْأَمْرِ ظَنَّ الْجَمِيعُ أَنَّ الْأَوْلَادَ ذَهَبُوا يَسْبَحُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ
لَمْ يَعُودُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ . وَلِذَلِكَ اعْتَقَدَ كُلُّ وَاحِدٍ أَنَّهُمْ غَرِقُوا فِي
النَّهْرِ ، لَكِنَّهُمْ سَمِعُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ طَوْفًا قَدْ اخْتَفَى ، فَاعْتَقَدُوا أَنَّ
الْأَوْلَادَ أَخَذُوهُ . ثُمَّ عَثَرَ عَلَى الطَّوْفِ دُونَ الْأَوْلَادِ ، فَأَيَقَنَ النَّاسُ أَنَّ
الْأَوْلَادَ مَاتُوا . وَقَالَتِ الْخَالَةُ بُولِي : « إِنَّ جِنَازَتَهُمْ سَتَكُونُ يَوْمَ
الْأَحَدِ » . وَعَادَتِ وَالِدَةُ جَوْ هَارِيرَ بِأَكِيَّةٍ إِلَى بَيْتِهَا ، وَذَهَبَتِ الْخَالَةُ
بُولِي إِلَى فِرَاشِهَا بِأَكِيَّةٍ أَيْضًا . وَعِنْدَمَا اسْتَغْرَقَتْ فِي النَّوْمِ قَامَ تَوَمَ
وَقَبَّلَهَا ، ثُمَّ غَادَرَ الْمَنْزِلَ يَهْدُوهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ مَا قِيلَ عَنْ الْجِنَازَةِ .
وَقَالَ لِنَفْسِهِ يَهْدُوهُ : « يَوْمَ الْأَحَدِ .. لَا بُدَّ أَنْ أَتَذَكَّرَ ذَلِكَ » .

وَفَكَّرَ فِي خُطَّةٍ بَسِيطَةٍ وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى الْمَعْسَكَرِ .

الفصل الثاني عشر

القراصنة منعزلون

لَعِبَ الْأَوْلَادُ عَلَى الرَّمَالِ ، وَسَبَّحُوا فِي النَّهْرِ . وَعِنْدَمَا أَحْسَنُوا
بِالتَّعَبِ اسْتَلْقَوْا عَلَى الرَّمَالِ السَّاخِنَةِ ، ثُمَّ غَطُّوا أَنْفُسَهُمْ بِهَا . وَبَعْدَ
قَلِيلٍ جَلَسُوا عَلَى الرَّمَالِ ، وَنَظَرُوا إِلَى بَعِيدٍ عَبْرَ النَّهْرِ ، فَأَمَكَّنَهُمْ أَنْ
يَرَوْا الْقَرْيَةَ . وَكَتَبَ تَوَمَ اسْمَ بَكِي عَلَى الرَّمْلِ بِإِثْنَامِ قَدَمِهِ ، وَلَكِنَّهُ
غَضِبَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمَحَا الْاسْمَ ، ثُمَّ كَتَبَهُ ثَانِيَةً .

كَانَ جَوْ يَوَدُّ الْعُودَةَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ هَاكِلِيرِي سَعِيدًا لِأَنَّ
الْمَكَانَ كَانَ يُشْعِرُ بِالْوَحْشَةِ . وَكَانَ تَوَمَ يُرِيدُ أَنْ يَرَى بَكِي ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يُفْصَحْ عَنْ ذَلِكَ .

قَالَ جَوْ : « أُرِيدُ الْعُودَةَ إِلَى بَيْتِي ، فَأَلْمَكَانَ هُنَا مُنْعَزَلٌ وَمَوْحِشٌ » .

قَالَ تَوَمَ : « سَوْفَ تُصْبِحُ فِي الْقَرِيبِ سَعِيدًا يَا جَوْ ، فَهَذَا يُمْكِنُنَا » .

شُعُورُ توم بِالْقَلْقِ أَكْثَرَ ، فَنَظَرَ إِلَى هَاكِلِيرِي .

قَالَ هَاكِلِيرِي : « وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَذْهَبَ أَيْضًا ، فَاَلْمَكَانَ هُنَا مُوحِشٌ مُنْذُ جِئْنَاهُ ، وَسَيَكُونُ أَسْوَأَ بَعْدَ ذَلِكَ . تَعَالَ مَعِي ، يَا توم ، وَسَنَذْهَبُ مَعًا . »

قَالَ توم : « لَنْ أَعُودَ وَبِمُكِنِّكَ أَنْ تَذْهَبَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ رَغْبَتُكَ ، أَمَّا أَنَا فَسَأَمُكُّ هُنَا . »

وَجَمَعَ هَاكِلِيرِي مَلَابِسَهُ وَارْتَدَاهَا ، ثُمَّ غَادَرَ الْمَكَانَ تَارِكًا توم وَحْدَهُ . وَرَاقِبَ توم الْاِثْنَيْنِ بِحُزْنٍ وَأَسَى ، وَكَانَ يَوَدُّ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُمَا ، لَكِنْ كِبَرِيَاءَهُ مَنَعَتْهُ . ثُمَّ تَذَكَّرَ خُطَّتَهُ السَّرِيَّةَ ، فَقَفَزَ مِنْ مَكَانِهِ صَائِحًا : « انْتَظِرَا ! انْتَظِرَا ! أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمَا شَيْئًا . »

وَتَوَقَّفَ الْاِثْنَانِ ، وَاسْتَدَارَا لِيَنْظُرَا إِلَيْهِ ، فَجَرَى نَحْوَهُمَا ، وَأَطْلَعَهُمَا عَلَى فِكْرَتِهِ . وَمَا إِنَّ أَتَمَّ كَلَامَهُ حَتَّى ضَحِكَ الْاِثْنَانِ بِصَوْتٍ عَالٍ ، وَأَقْرَأَا بِأَنَّهَا خُطَّةٌ مُدْهِشَةٌ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ عَادَ الثَّلَاثَةُ إِلَى الْمَعْسَكِ .

وَبَعْدَ أَنْ تَنَاوَلُوا غَدَاءَهُمْ رَاحُوا يَتَحَدَّثُونَ ، وَطَالَ بِهِمُ الْحَدِيثُ ، وَتَذَكَّرُوا الْأَوْلَادَ الْآخَرِينَ فِي الْمَدْرَسَةِ . وَلَكِنْ ، كَانَتْ هُنَاكَ وَقَفَاتٌ فِي حَدِيثِهِمْ ، وَكَانَتْ فتراتُ الصَّمْتِ أَطْوَلَ . وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ مُمْتَقِعَةً وَمُبْتَلَةً .

« لَا أُرِيدُ أَنْ أَصْطَادَ السَّمَكِ ، بَلْ أُرِيدُ الْعُودَةَ إِلَى بَيْتِي . »

قَالَ توم : « يُمَكِّنُكَ السَّبَاحَةُ هُنَا . »

رَدَّ جَو : « لَا أَحِبُّ السَّبَاحَةَ عِنْدَمَا لَا يَمْنَعُنِي عَنْهَا أَحَدٌ . »

« إِنَّكَ طِفْلٌ . إِنَّكَ تُرِيدُ الْعُودَةَ لِتَرَى أُمَّكَ . »

« نَعَمْ أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ لِأَرَى أُمِّي . إِنَّكَ بِلاَ أُمٍّ ، فَكَيْفَ تَعْرِفُ هَذَا الْإِحْسَاسَ ! كَمَا أَنَّنِي لَسْتُ بِطِفْلٍ . »

قَالَ توم : « سَنَدْعُ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ يَعُودُ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَرَى أُمَّهُ . وَلَكِنَّكَ مُعْجَبٌ بِالْمَكَانِ هُنَا ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا هَاكَ ؟ »

رَدَّ هَاكِلِيرِي بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ ، وَنَظَرَاتُ الشُّكِّ تَبْدُو عَلَى مُحْيَاةٍ : « ن .. ع .. م ! »

وَنَهَضَ جَو مِنْ مَكَانِهِ ، وَبَدَأَ يَرْتَدِي مَلَابِسَهُ .

قَالَ توم مُحْتَجًّا : « أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْقَرَاصِنَةِ أَنْتَ ؟ يُمَكِّنُنِي أَنَا وَهَاكِلِيرِي أَنْ نُصْبِحَ قُرْصَانَيْنِ بِدُونِكَ . »

لَكِنْ جَو ارْتَدَى مَلَابِسَهُ ، فَشَعَرَ توم بِالْقَلْقِ . وَرَاقِبَ هَاكِلِيرِي مَا كَانَ يَجْرِي بِحُزْنٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَنَزَلَ إِلَى الْمَاءِ ، وَاشْتَدَّ

وَقَالَ جَوْ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ : « لَقَدْ فَقَدْتُ سِكِّينِي ، وَسَأَذْهَبُ
لَأُبْحَثَ عَنْهَا . »

وَكَانَ تَوَمُّ يَرْتَعِشُ ، وَتَمَنَّى لَوْ كَانَ قَدْ مَاتَ ، فَقَالَ :
« سَأُسَاعِدُكَ . سِرُّ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ، وَسَأَذْهَبُ أَنَا فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ .
وَلَا دَاعِيَ لَأَنْ تَأْتِيَ مَعَنَا ، يَا هَاكِ ، فَيُمْكِنُنَا أَنْ نَعُثَرَ عَلَيْهَا . »

وَجَلَسَ هَاكِلِبِرِي مَرَّةً أُخْرَى ، وَانْتَظَرَ لِمُدَّةِ سَاعَةٍ . وَبَدَأَ يَشْعُرُ
بِالْوَحْدَةِ ، فَقَامَ يَبْحَثُ عَنْ صَدِيقِيهِ ، وَوَجَدَهُمَا نَائِمَيْنِ تَحْتَ
شَجَرَتَيْنِ فِي مَكَائِنٍ مُخْتَلِفَيْنِ ، فَأَدْرَكَ أَنَّهُمَا مَرِيضَانِ .

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يَتَحَدَّثُوا كَثِيرًا أَثْنَاءَ تَنَاوُلِهِمْ طَعَامَ الْعِشَاءِ .

الفصل الثالث عشر

العاصفة

فِي مَتْنَصَفِ اللَّيْلِ اسْتَيْقَظَ جَوْ مِنْ نَوْمِهِ ؛ فَقَدْ كَانَ ثَمَّةَ شَيْءٍ
غَرِيبٍ يَحْدُثُ ؛ فَنَادَى عَلَى الْوَلَدَيْنِ الْآخَرَيْنِ . وَبَعِيدًا عَنِ النَّارِ
الْمُسْتَعْلَةِ ، كَانَ الْمَكَانُ مُظْلِمًا . وَلِلْحِظَةِ خَاطِفَةٍ ظَهَرَ ضَوْءٌ غَرِيبٌ ،
وَأُمَكْنَهُمْ أَنْ يَرَوْا الْأَشْجَارَ بِسُهُولَةٍ . ثُمَّ كَانَتْ هُنَاكَ أَيْضًا وَمَضَّةٌ
لَامِعَةٌ أُخْرَى مِنَ الضَّوِّ ، ثُمَّ تَبِعَتْهَا وَمَضَّةٌ ضَوْءٍ ثَالِثَةٌ ، وَفَجْأَةً دَوَّى
صَوْتُ الرُّعْدِ عَبْرَ السَّمَاءِ . وَسَقَطَتْ قَطْرَاتٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الْمَطَرِ عَلَى
أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ . وَهَبَتْ رِيحٌ لَطِيفَةٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، ثُمَّ تَوَقَّفَتْ .
وَتَبَعَ ذَلِكَ وَمَضَاتٌ مِنَ الضَّوِّ ، وَأَرَعَدَتِ السَّمَاءُ ، وَأَحَسَّ الْأَوْلَادُ
بِالْخَوْفِ . وَلَمْ يَكُونُوا فِي خِيَمَتِهِمْ عِنْدَمَا بَدَأَتِ الْعَاصِفَةُ ، وَسَرَّعَانَ
مَا ابْتَلَتْ مَلَأَتْهُمْ ؛ فَصَاحَ تَوَمُّ : « أَسْرِعُوا ! ادْخُلُوا الْخِيَمَةَ . »

وَجَرَى الثَّلَاثَةُ فِي الظَّلَامِ نَحْوَ الْخِيَمَةِ ، وَوَجَدُوا طَرِيقَهُمْ عَلَى

ضَوْءٍ وَمَضَاتِ الْبَرْقِ . وَلَمَّا دَخَلُوا الْخِيْمَةَ كَانَ الْمَطَرُ قَدْ بَلَغَهُمْ
تَمَامًا . وَحَاوَلُوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا ، وَلَكِنْ صَوْتُ الْعَاصِفَةِ الرَّهِيْبِ مَنَعَهُمْ
مِنْ ذَلِكَ . وَاشْتَدَّتِ الرِّيحُ ، وَسَقَطَ الْمَطَرُ بِغَزَارَةٍ . وَاسْتَمَرَّتْ وَمَضَاتِ
الْبَرْقِ وَكَذَلِكَ الرَّعْدُ خَارِجَ الْخِيْمَةِ . وَفَجْأَةً مَزَقَتْ الرِّيحُ الْعَنِيفَةُ
خِيَمَتَهُمْ ، وَطَوَّحَتْ بِهَا بَعِيدًا .

وَأَصْبَحَ الثَّلَاثَةُ بِلاَ غِطَاءٍ يَحْمِيهِمْ مِنْ عُنْفِ الْعَاصِفَةِ ، فَجَرَوْا
نَحْوَ شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ بِالْقُرْبِ مِنَ النَّهْرِ . وَكَانَتِ الشَّجَرَةُ وَغَيْرُهَا مِنْ
الْأَشْجَارِ مُنْحَنِيَةً تَحْتَ وَطْأَةِ الرِّيحِ وَشِدَّةِ هُبُوبِهَا ، وَأَحْيَانًا كَانَتْ
شَجَرَةٌ عَالِيَةً تَسْقُطُ إِلَى الْأَرْضِ مُحْدِثَةً صَوْتًا عَظِيمًا . وَانْضَمَّ صَوْتَا
الرِّيحِ وَالرَّعْدِ إِلَى الصَّوْتِ الَّذِي أَحْدَثَهُ سُقُوطُ الْأَشْجَارِ الضَّخْمَةِ .
وَاسْتَمَرَّ عُنْفُ الْعَاصِفَةِ لَوْقَتٍ طَوِيلٍ . وَأَخِيرًا هَدَأَتِ الْعَاصِفَةُ ،
وَاخْتَفَى الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ .

عَادَ الثَّلَاثَةُ بَعْدَ الْعَاصِفَةِ إِلَى الْمَعْسَكِ الَّذِي أَصْبَحَ الْآنَ مَكَانًا
مُخْتَلِفًا . كَانَتْ شَجَرَةٌ تُظِلُّ فِرَاشَهُمْ ، لَكِنْ الْعَاصِفَةُ حَطَّمَتَهَا
وَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ . وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ مُبْتَلًا فِيمَا عَدَا بَعْضَ
أَغْصَانِ بِجَوَارِ الشَّجَرَةِ . كَانَتْ مَلَابِسُهُمْ مُبْتَلَةً تَمَامًا ، وَلَمْ تَكُنْ
خِيَمَتُهُمْ مُثَبَّتَةً فِي مَكَانِهَا الْعَادِيِّ . وَانْطَفَأَتِ النَّارُ الَّتِي أَشْعَلُوهَا .
وَكَانَ الْمَكَانُ مُوحِشَ الْمُنْظَرِ ، وَخَافَ الْأَوْلَادُ وَارْتَعَبُوا .

وَكَانَتْ مُعْظَمُ الْأَعْصَانِ مُبْتَلَّةٌ ، فَلَمْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ إِشْعَالِ نَارٍ ؛
وَلَكِنَّهُمْ عَثَرُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى قَلِيلٍ مِنَ الْأَعْصَانِ الْجَائِفَةِ تَحْتَ
جَذَعِ شَجَرَةٍ مُلْقَى . وَقَامُوا بِإِشْعَالِ نَارٍ جَفَقَتْ مَلَابِسَهُمُ الْمُبْتَلَّةُ .

بَعْدَ ذَلِكَ طَهَسُوا بَعْضُ اللَّحُومِ وَتَنَاوَلُوا وَجِبَةً شَهِيَّةً . وَلَمْ يَنَامُوا
مَرَّةً أُخْرَى فِي تِلْكَ الْعَاصِفَةِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَكَانٌ جَافٌ
يَنَامُونَ قُوَّةً .

وَعِنْدَمَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ فِي الصَّبَاحِ نَامَ ثَلَاثَتُهُمْ عَلَى الرَّمَالِ .
وَلَكِنَّهُمْ اسْتَيْقَظُوا عِنْدَمَا اشْتَدَّتْ حَرَارَةُ الشَّمْسِ ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا
مُواصلةَ النَّوْمِ . وَأَعَدُّوا فُطُورَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ تَنَاوَلُوهُ بِحُزْنٍ ؛ لِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَشْعُرُونَ بِالْمَرَضِ . وَكَانَ جَوْهَا كَلْبِيرِي حَزِينِينَ بِوَجْهِ نَحَاسٍ .
وَلَا حَظَّ تَوْمَ مَعَالِمَ ذَلِكَ الْحُزْنِ عَلَى وَجْهِهِمَا ، فَذَكَرَهُمَا بِخَطْبَتِهِ
السَّرِيَّةِ فَضَحِكَا . وَبِمُضِيِّ الْوَقْتِ تَحَسَّنَا بَعْضُ الشَّيْءِ ، وَقَامَا
لِلْعِبِّ مَعَ تَوْمٍ ، وَتَغَنَّوَا جَمِيعًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

الفصل الرابع عشر الجنائزات

فِي الْمَدِينَةِ الصَّغِيرَةِ لَمْ تَكُنْ بِكِي نَائِشِرٌ سَعِيدَةً . وَكَانَ عَلَيْهَا أَنْ
تَذْهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَلَكِنْ تَوْمَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ، فَأَحْسَتْ أَنَّهَا وَحِيدَةٌ
وَتَذَكَّرَتْ الْأَكْرَةَ الْمَعْدِنِيَّةَ ، تِلْكَ الَّتِي تَرَكَتْهَا عَلَى مَكْتَبِ تَوْمٍ ،
وَأَصْبَحَتْ الْآنَ لَا تَمْلِكُ أَكْرَةً مِثْلَهَا . وَرَاحَتْ تَفَكَّرُ : « إِنِّي لَنْ
أَرَاهُ مَرَّةً أُخْرَى ، لَنْ أَرَاهُ أَبَدًا ! أَبَدًا ! » وَبَدَأَتْ تَبْكِي بِهَدْوٍ فِي
رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ عُرْفَةِ الدَّرَاسَةِ .

وَجَاءَ بَعْضُ الْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ وَأَطْلَوْا مِنْ فَوْقِ سَوْرِ الْمَدْرَسَةِ ، وَكَانُوا
يَتَكَلَّمُونَ عَنْ تَوْمٍ وَيُفَكِّرُونَ فِيهِ . وَاسْتَطَاعَتْ بِكِي أَنْ تَسْمَعَ بَعْضَ
أَحَادِيثِهِمْ .

قَالَ أَحَدُهُمْ : « هَلْ تَذَكَّرُ ابْتِسَامَةَ تَوْمِ السَّعِيدَةِ ؟ » وَقَالَ آخَرُ :
« كُنْتُ أَقِفُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ . قَرِيبًا جِدًّا مِنْهُ . تَخَيَّلْ ذَلِكَ ! وَابْتَسَمَ

توم وشعرت بغربة ! والآن قد مات توم ! أليس ذلك فظيعا ؟

سأل أحدهم : « من الذي رآه آخر مرة ؟ » فقال أحد الأولاد إنه رأى توم منذ فترة قصيرة جدا . ووافق الآخرون على أن أحدا لم يره بعد ذلك . وأصبح ذلك الولد الذي رآه أخيرا على درجة من الأهمية بالنسبة لباقي الأولاد .

كان كل واحد يفكر في جو وتوم ، واعتقد الجميع أنهما ماتا . وفي اليوم التالي دقت الأجراس في البلدة دقات حزينة ، وسمعها الناس في القرية ، كما سمعها الفلاحون في الحقول البعيدة ، وسمعتها بكى أيضا . وكان يوما حزينا ؛ لأنه كان يوم الجنازات .

وتجمع الناس وراحوا يتحدثون في همس ، ثم ساروا بطيء ناحية ساحة البلدة التي سرعان ما امتلأت بهم . وبعد لحظات جاءت الخالة بوللي وسيد وماري ، ثم السيدة هاربر مع عائلتها . وكانوا جميعا يرتدون ملابس سوداء اللون . وكانت جميع الوجوه حزينة جدا .

كان الناس يفكرون في الولدين المسكينين ؛ فقد كانا في حياتهما من الأولاد الطيبين ولكنهما الآن قد ماتا ! أ لم يكونا أفضل من الأولاد الآخرين ؟ وكان الصمت والوجوم والحزن ضخيم

على الجميع ، وفجأة سمع الناس صوتا خافتا ، واستدار كل وجه وكل عين نحو ذلك الصوت .

وانسعت العيون عن آخرها في دهشة بالغية ؛ فقد ظهر الأولاد الثلاثة أمام الجميع ، وكان توم في المقدمة يتبعه جو ، ومن خلفه هاكليري . وتعالص صيحات الدهشة والتعجب . إذا فالأولاد لم يموتوا . إنهم أحياء !

ارتمت الخالة بوللي والسيدة هاربر وماري على جو وتوم ، وقبلت كل واحدة ولدها ، وطوقته بذراعيها . وتعالص صيحات السعادة والفرح . ولكن هاكليري ظل واقفا في الخلف ، وحاول أن يختبئ . لم يتذكره أي إنسان لوقت قصير فقال توم موجها كلامه ليخاته : « أ ليس هناك أي شخص فرح بهاك ؟ لقد عاد هو أيضا . »

أجابته : « إنني سعيدة به ! يا للمسكين ! لم يقبله إنسان قبلة واحدة ! » وتقدمت الخالة بوللي نحو هاكليري ، وطبعت على جبينه قبلة ، ولكن قبلتها لم تجعله سعيدا . لقد رآهما كل شخص ، ولم يعجبه ذلك .

كانت هذه هي خطة توم السرية . كان الأولاد الثلاثة قد وافقوا

عَلَى أَنْ يَعُودُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ ، ثُمَّ يَذْهَبُوا أَيْضًا إِلَى جِنَازَتِهِمْ . لَقَدْ
نَامُوا خَارِجَ الْبَلَدَةِ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَعِنْدَمَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ذَهَبُوا إِلَى
السَّاحَةِ مُبَكِّرًا ، وَمَكَثُوا بِهَا بَعْضَ الْوَقْتِ ، ثُمَّ دَقَّتِ الْأَجْرَاسُ مُعَلِّنَةً
عَنْ مَوْعِدِ الْجِنَازَاتِ .

وَعَلَى مَائِدَةِ الْفُطُورِ فِي صَبَاحِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ أَبَدَتْ كُلُّ مَنْ الْخَالَةِ
بُوللي وَمَارِي رِقَّةً وَحَنَانًا نَحْوَ تَوَمٍ وَقَدَمَتَا لَهُ وَجِبَةً شَهِيَّةً . لَكِنَّ الْخَالَةَ
بُوللي قَالَتْ : « تَوَم ، اعْتَقَدْتُ أَنَّكَ مِتُّ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ ،
وَلَكِنَّكَ لَمْ تَفْعَلْ شَيْئًا يُرِيحُنِي ؛ فَلِمَاذَا لَمْ تَقُلْ لِي الْحَقِيقَةَ ؟ لِمَاذَا
لَمْ تَعُدَّ إِلَيَّ هُنَا لِتُطْلِعَنِي عَلَى الْأَمْرِ ؟ »

قَالَتْ مَارِي : « إِنَّ تَوَمَ لَا يُفَكِّرُ فِي الْآخَرِينَ . »

رَدَّ عَلَيْهَا تَوَمٌ : « أَنْتِ تَعْرِفِينَ ، يَا خَالَتي ، أَنَّنِي أَهْتَمُّ بِكَ ، وَقَدْ
حَلَمْتُ بِكَ ؛ فَهَذَا شَيْءٌ مُهِمٌّ . »

رَدَّتْ عَلَيْهِ خَالَتُهَا : « إِنَّ أَهْتِمَامَكَ هَذَا أَفْضَلُ مِنْ لَا شَيْءٍ ، فَمَا
الَّذِي حَلَمْتَ بِهِ ؟ »

« حَلَمْتُ بِكَ مَسَاءَ الْأَرْبَعَاءِ ، وَكُنْتُ جَالِسَةً هُنَاكَ بِجِوَارِ
الْفِرَاشِ ، وَكَانَ سَيِّدٌ جَالِسًا بِالْقُرْبِ مِنَ الصُّنْدُوقِ وَمَارِي بِجِوَارِهِ . »

قَالَتْ : « جَلَسْنَا حَقِيقَةً كَمَا قُلْتَ . وَلَكِنَّ بِالطَّبْعِ هَذَا مَا نَفَعَلُهُ

دَائِمًا . »

« وَحَلَمْتُ أَنَّ أُمَّ جَوْهَارِ كَانَتْ هُنَا . »

قَالَتْ : « أَوْ حَقًّا مَا تَقُولُ ؟ هَذَا صَحِيحٌ ؛ فَقَدْ كَانَتْ هُنَا !
هَلْ حَلَمْتَ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ؟ »

« نَعَمْ ، وَلَكِنَّ الْحَلْمَ غَيْرُ وَاضِعٍ الْآنَ . »

قَالَتْ الْخَالَةُ : « حَاولِي أَنْ تَتَذَكَّرِي ، يَا تَوَم . »

قَالَ تَوَمٌ : « أَعْتَقِدُ أَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَهْبُتُ وَأَطْفَأتُ لَهَبَ
الشَّمْعَةِ . »

« نَعَمْ .. نَعَمْ .. اسْتَمِرِّي ، يَا تَوَم .. اسْتَمِرِّي . »

« ثُمَّ قُلْتَ أَنْتِ - مَا الَّذِي قُلْتِهِ .. دَعِينِي أَفَكِّرِي .. قُلْتَ إِنَّ ذَلِكَ
الْبَابَ كَانَ مَفْتُوحًا . »

صَاحَتْ خَالَتُهَا : « لَقَدْ قُلْتَ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ .. قُلْتَهُ فِعْلًا .. أَلَيْسَ
كَذَلِكَ ، يَا مَارِي ؟ اسْتَمِرِّي يَا تَوَم ! هَذَا مُدْهِشٌ ! »

« ثُمَّ .. ثُمَّ أَظُنُّ ... »

« مَا الَّذِي تَظُنُّهُ ؟ »

« أَظُنُّ أَنَّكَ تَحَدَّثُ مَعَ سَيِّدٍ وَقُلْتَ : أَرْجُوكَ ، أَغْلِقِ الْبَابَ ،
يا سَيِّدُ . »

« حَقًّا .. قُلْتُ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ . لَمْ أَسْمَعْ فِي حَيَاتِي شَيْئًا مِثْلَ
هَذَا ! لَا بُدَّ أَنْ أَخْبِرَ السَّيِّدَةَ هَارِيرَ بِهَذَا الْأَمْرِ .. اسْتَمِرَّ ، يَا توم !
قال توم : « إِنَّ الْحُلْمَ أَوْضَحُ الْآنَ .. قُلْتَ إِنِّي لَمْ أَكُنْ وَلَدًا
شَرِيرًا . »

« نَعَمْ .. نَعَمْ .. ثُمَّ مَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »

« ثُمَّ بَدَأَتْ تَبْكِينَ ، وَكَذَلِكَ السَّيِّدَةُ هَارِيرَ بَدَأَتْ تَبْكِي هِيَ
الْأُخْرَى . قَالَتْ إِنَّ جَوْ كَانَ مِثْلِي تَمَامًا . قَالَتْ إِنَّهَا كَانَتْ تَضْرِبُهُ ،
وَقَالَتْ أَيْضًا إِنَّهَا كَانَتْ مُخْطِئَةً ، وَقَالَ سَيِّدُ ... »

قَاطَعَهُ سَيِّدُ قَائِلًا : « لَا أَظُنُّ أَنَّي قُلْتُ شَيْئًا . »

قَالَتْ مَارِي : « نَعَمْ ! لَقَدْ قُلْتَ ، يَا سَيِّدُ ، إِنَّكَ ... »

صَاحَتِ الْخَالَةُ : « اصْمُتِي ، يَا مَارِي ، وَدَعِي توم يَسْتَمِرُّ فِي
كَلَامِهِ . »

قال توم : « قَالَ سَيِّدُ إِنِّي لَمْ أَكُنْ دَائِمًا حَسَنًا . »

قَالَتِ الْخَالَةُ : « كَانَتْ هَذِهِ كَلِمَاتِ سَيِّدٍ بَعَيْنِهَا . »

« وَقُلْتَ لَهُ أَنْتِ ، يَا خَالَتي ، إِنَّهُ لَا يَجِبُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذِهِ
الطَّرِيقَةِ . »

رَدَّتِ الْخَالَةُ : « بِالطَّبَعِ فَعَلْتُ . »

وَاسْتَمَرَ توم : « وَثَمَّةُ كَلَامِ حَوْلَ طُوفٍ وَحَوْلَ النَّهْرِ . وَأَرَدْتُمْ
جَمِيعًا أَنْ تَكُونَ الْجِنَازَاتُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ . ثُمَّ خَرَجَتِ السَّيِّدَةُ هَارِيرَ
وَكُنْتُ لَا تَزَالِينَ تَبْكِينَ ، يَا خَالَتي ، وَكَانَتْ هِيَ تَبْكِي أَيْضًا . ثُمَّ
ذَهَبَتْ إِلَى فِرَاشِكِ ، وَعِنْدَمَا اسْتَغْرَقْتُ فِي النَّوْمِ قَبَّلْتِكِ . »

« وَهَلْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ، يَا توم ؟ سَأَسْأَلُكَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ مُقَابِلَ
ذَلِكَ . »

قال سَيِّدُ مُعَقِّبًا : « كَانَ ذَلِكَ عَطْفًا مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ حُلْمًا !
وَلَمْ يَعلُقْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ فَكَّرَ كَثِيرًا .. إِنَّهُ حُلْمٌ طَوِيلٌ وَلَمْ
يَكُنْ فِيهِ خَطَأٌ وَاحِدٌ . يَا لِلْغَرَابَةِ ! »

تَخِيلُ شَيْءٍ إِضَافِي .

قَرَّرَ توم أَنَّهُ لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى بَكِي نَاشِرِ الْآنَ . كَانَ رَجُلًا عَظِيمًا وَكَانَ ذَلِكَ كَافِيًا لَهُ . وَتَظَاهَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَرَهَا ، وَتَحَرَّكَ بَعِيدًا ، وَتَحَدَّثَ مَعَ بَنَاتِ وَبَنِينَ آخَرِينَ . كَانَتْ تَرُوحُ وَتَجِيءُ بِعَيْنَيْهَا اللَّامِعَتَيْنِ وَتَلْعَبُ مَعَ الْأَوْلَادِ الْآخَرِينَ . وَكَانَتْ أَحْيَانًا تُمَسِّكُ بِفَتَاةٍ أُخْرَى وَهِيَ تَلْهُو بِالْقُرْبِ مِنْ توم ، ثُمَّ تَنْظُرُ فِي اتِّجَاهِهِ ، وَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَكَانَ فَخُورًا جِدًّا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُبْدِ أَيَّ اهْتِمَامٍ ، وَلِذَلِكَ كَفَّتْ عَنْ التَّلْهُو بِجَوَارِهِ ، وَابْتَعَدَتْ بِبُطْءٍ وَهِيَ تَنْظُرُ نَاحِيَتَهُ . وَرَاحَ توم يَتَحَدَّثُ إِلَى آمِي لورانس .

ظَهَرَتْ الْغَيَرَةُ فِي الْحَالِ عَلَى بَكِي . وَسَارَتْ بَعِيدًا ، وَلَكِنْ قَدِمَتْهَا أَعَادَتَاهَا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى توم . وَكَانَتْ فَتَاةٌ تَقِفُ بِجَوَارِ توم فَتَكَلَّمَتْ مَعَهَا بِكِي .

صَاحَتْ بِكِي : « مَارِي أَوْسْتون ! إِنَّكِ بِنْتُ سَيِّئَةٍ ! لِمَاذَا لَمْ تَحْضُرِي لِلْمَدْرَسَةِ يَوْمَ الْآخِذِ ؟ »

« جِئْتُ .. أَلَمْ تَرَيْنِي ؟ »

« لَا .. لَمْ أَرَكَ .. أَتَيْنَ جَلَسْتُ ؟ أَرَدْتُ أَنْ أَخْبِرَكَ عَنِ النَّزْهَةِ . »

رَدَّتْ مَارِي : « أَيُّ نَزْهَةٍ ؟ »

الفصل الخامس عشر

اثنان يَغَارَانِ

ذَهَبَ الْأَوْلَادُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَذَهَبَتِ الْخَالَةُ بوللي إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ هَاريز . وَهَنَّاكَ وَصَفَتْ لَهَا حُلْمَ توم الْمُدْهِشَ .

أَصْبَحَ توم رَجُلًا عَظِيمًا الْآنَ . وَلَمْ يَعُدْ يَتَسَكَّعْ مِثْلَ الْأَوْلَادِ الْآخَرِينَ ، بَلْ كَانَ يَسِيرُ بِاهْتِمَامٍ مِنْ مَكَانٍ لِآخَرَ . وَفَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ قُرْصَانًا . وَعَرَفَهُ كُلُّ شَخْصٍ وَرَاقِبَهُ الْجَمِيعُ ، فَإِذَا سَارَ فِي الطَّرِيقِ تَهَامَسَ النَّاسُ بِأَشْيَاءَ مُدْهِشَةٍ عَنْهُ ، وَكَانَ يَتَظَاهَرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ هَمْسَهُمْ . وَلَكِنْ مُمْلَاحَظَاتِهِمْ جَعَلَتْهُ يَشْعُرُ بِالْفَخْرِ وَالسَّعَادَةِ .

تَبِعَهُ الْأَوْلَادُ الصَّغَارُ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ ، وَأَعْجَبَ بِهِ الْأَطْفَالُ فِي الْمَدْرَسَةِ ، وَكَذَلِكَ أَعْجَبُوا بِجَوِّهِ . وَعِنْدَمَا وَصَفَ الْاِثْنَانِ : توم وَجَوِّهِ ، مُغَامَرَاتِهِمَا لَمْ يَصِلَا مُطْلَقًا إِلَى نِهَايَاتِهَا . كَانَا دَائِمًا قَادِرِينَ عَلَى

قالت بكى : « إن أمي تعدُّ العدة لنزهة خلوية ، ويمكن لجميع أصدقائي أن يأتوا معنا . »

قالت ماري : « هذا مذهش .. هل ستدعين كل البنات والأولاد هنا ؟ »

نظرت بكى سراً إلى توم وقالت : « نعم .. جميع أصدقائي . » لكن توم كان يتحدث مع أمي لورانس ، ويحكي لها عن العاصفة في الجزيرة . كل واحد ما عدا توم وأمي أراد أن تدعوه بكى إلى النزهة الخلوية . وأخذ توم صديقته أمي بعيداً عن الآخرين ، وحزنت بكى لذلك . وحاولت إخفاء مشاعرها ، ولم تعد تهتم بالنزهة في تلك اللحظة ، وذهبت بعيداً لتبكي . وخطرت لها فكرة أخرى .

كان توم لا يزال يحكي مغامراته لأمي ، ونظر سراً إلى بكى ، ولكنه لم يجدها . أين ذهبت ؟ ثم رآها . كانت جالسة على مقعد مع ألفريد تمبل . كانا يقرآن في كتاب ، وينظران إلى ما فيه من صور معاً ، ورأساهما متقاربان من بعضهما بعضاً ، ولم يلاحظا أي شخص آخر .

شعر توم في التوبة بغيرة شديدة ، وبدأ يكره نفسه . فبكى كانت حقيقة فتاته ، وقد أضاع فرصة مناسبة . ولم يعد يسمع حديث أمي

السعيد ، ولم يجب عن أسئلتها . وسار الاثنان معاً ، ولكنهما كانا يتجهان أحياناً نحو المقعد الجالسة عليه بكى مع زميلها . واستطاع توم أن يرى بكى وألفريد بسهولة هناك . وألهب منظرهما معاً عينيه . وظن أن بكى لم تلاحظه ، وهذا بالطبع جعله حزينا كاسف البال . ولكنها لاحظته سراً ، وكانت فرحة ، وعرفت أنها كانت تكسب المعركة . واستطاعت أن ترى أن توم غير سعيد .

اعتاد ألفريد تمبل أن يرتدي أحسن الملابس ؛ لذا لم يكن توم يحبّه . وسرعان ما ابتعد عن أمي لورانس وكلامها التافه ، وعاد إلى بيته . وانتهى اهتمام بكى بالكتاب الذي كانت تقرأ فيه مع ألفريد في الحال ، وراحت تبكي وأراها ألفريد صورة أخرى ، لكنها رفضت أن تنظر إليها ، وصاحت فيه : « إليك عني ! إنني أكرهك ! »

غضب ألفريد غضباً شديداً من بكى ؛ لأنه عرف السبب جيداً ؛ فقد استخدمته بكى لتغضب توم . وكان ألفريد يكره توم دائماً ، ومن تلك اللحظة اشتدت كراهيته له عن ذي قبل . وأراه أن يسيء إلى توم ، فراح يسير على غير هدى في المدرسة وحده وهو غاضب . وعثر في حجرة الدروس على أحد دفاتر توم ، وكان يحتوي على قوائم من الكلمات استخدمت لتعلم التهجّي .

وَكَانَتْ هَذِهِ فُرْصَتُهُ الْفَرِيدَةُ ؛ فَفَتَحَ الدَّفْتَرَ عَلَى الصَّفْحَةِ الَّتِي تَحْمِلُ
تَارِيخَ الْيَوْمِ ، ثُمَّ سَكَبَ بَعْضَ الْجِبْرِ عَلَيْهَا .

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَانَتْ بِكِي تَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ ، قَرَأَتْ
الْفَرِيدَ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَقُلْ أَيَّ شَيْءٍ ، وَقَرَّرَتْ الذَّهَابَ إِلَى مَنْزِلِهَا .
وَكَانَ يُمَكِّنُهَا أَنْ تُخْبِرَ تومَ عَنِ الْجِبْرِ الَّذِي انْسَكَبَ عَلَى دَفْتَرِهِ ،
وَلَكِنَّهَا غَيَّرَتْ رَأْيَهَا قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى بَيْتِهَا . تَذَكَّرَتْ أَمِي لورانس
وَتَذَكَّرَتْ الدَّعْوَةَ لِلنُّزْهَةِ . وَفَكَّرَتْ فِي أَنَّ تومَ لَمْ يَهْتَمَّ بِخَبَرِ النُّزْهَةِ
الْمَخْلُوقَةِ . وَمَلَأَتْهَا هَذِهِ الذِّكْرَى بِالْخَجَلِ ؛ فَقَالَتْ لِنَفْسِهَا :
« سَأَكْرَهُهُ إِلَى الْأَبَدِ ! وَسَوْفَ يَضْرِبُهُ النَّاطِرُ عِنْدَمَا يَرَى الْجِبَرَ ، وَأَنَا
مَسْرُورَةٌ لِأَنَّهُ سَيَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ . »

عِنْدَمَا عَادَ تومَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَجَدَ خَالَتَهُ غَاضِبَةً لِلْغَايَةِ ، فَسَأَلَهَا :
« مَا الَّذِي فَعَلْتَهُ الْآنَ ؟ »

أَجَابَتْهُ : « رَوَيْتَ لِي حُلْمًا ، وَذَهَبْتُ إِلَى السَّيِّدَةِ هَارِيزَ لِأَحْكِيهِ
لَهَا ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّكَ كُنْتَ هُنَا حَقِيقَةً فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ .
قَالَ لَهَا جُو إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ حُلْمًا . فَمَا الَّذِي سَتَّظَنَّهُ فِي السَّيِّدَةِ هَارِيزَ
الْآنَ ؟ سَتَّظَنُّ أَنْ لِي عَقْلٌ طِفْلِيٌّ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ خَطْبِكَ
يَا توم . »

شَعَرَ تومَ بِالْخِزْيِ ، وَقَالَ : « لَمْ أَفَكِّرْ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، يَا خَالَتِي

لَكِنِّي فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ جِئْتُ لِأَقُولَ لَكَ الْحَقِيقَةَ . وَظَنَنْتُ أَنَّنا مِثْلًا
جَمِيعًا لَكِنَّا كُنَّا مُخْطِئَةً . أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ لَكَ الْحَقِيقَةَ . »

أَجَابَتْهُ : « أَرْجوكِ ، يَا تومَ ، لَا تَكْذِبِي عَلَيَّ . »

« لَمْ تَكُنْ كَذِيبَةً ، يَا خَالَتِي . كُنْتُ حَزِينَةً ، وَكُنْتُ أَنَا آسِفًا .
وَلَكِنِّي لَمْ أَخْبِرْكَ لِأَنَّكَ كُنْتَ تَتَكَلَّمِينَ . قُلْتُ شَيْئًا عَنِ الْجِنَارَاتِ ،
وَأَرَدْتُ أَنْ أَنْصِتَ . »

« هَلْ قَبَّلْتَنِي حَقِيقَةً ، يَا تومَ ؟ »

« نَعَمْ ، يَا خَالَتِي ، قَبَّلْتِكَ . »

« لِمَاذَا قَبَّلْتَنِي ؟ »

« لِأَنِّي أَحْبَبْتُكَ ، وَكُنْتُ أَنْتِ غَيْرَ سَعِيدَةٍ ، وَكُنْتُ آسِفًا . »

الفصل السادس عشر

نبل تصرفِ توم

كَانَ توم فِي حَالَةٍ أَسْعَدَ عِنْدَمَا عَادَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ . وَبَدَأَ لَهُ أَنَّ خَالَتهُ أَصْبَحَتْ تُحِبُّهُ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ . وَفِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ لَقِيَ بِكِي .

قَالَ توم : « لَقَدْ تَصَرَّفْتُ بِطَرِيقَةٍ سَيِّئَةٍ الْيَوْمَ فَمَعْدِرَةٌ . إِنِّي آسِفٌ ، يَا بِكِي . لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ ثَانِيَةً أَبَدًا . »

نَظَرَتْ بِكِي إِلَى وَجْهِهِ بِكِبْرِيَاءٍ ثُمَّ قَالَتْ : « أَرْجوكَ أَنْ تَغْرُبَ عَنْ وَجْهِي ، يَا سَيِّدُ توماس سُوِير . » ثُمَّ قَالَتْ بِهَدْوٍ : « لَنْ أَتَحَدَّثَ مَعَكَ مَرَّةً ثَانِيَةً . »

لَمْ يَفْهَمْ توم بِكَلِمَةٍ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ غَاضِبًا غَضَبًا شَدِيدًا . وَقَابَلَهَا مَرَّةً أُخْرَى فِي الْمَدْرَسَةِ وَأَبْدَى مُمَاحِظَةً قَاسِيَةً ؛ فَزِدَتْ عَلَيْهِ بِحِدَّةٍ وَبِنَظَرَةٍ عَنِيفَةٍ . كَانَتْ غَاضِبَةً جِدًّا . وَأَوْشَكَ مَوْعِدُ حِصَّةِ التَّهَجُّجِي

فَسَّرَتْ كَثِيرًا لَوْجُودِ الْجَبْرِ عَلَى إِحْدَى صَفَحَاتِ دَفْتَرِهِ . وَتَوَقَّعَتْ أَنَّ يَضْرِبَهُ السَّيِّدُ دوينز ضَرْبًا مُوجِعًا ، لَكِنَّهُ الْإِزْعَاجُ كَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْفَتَاةِ نَفْسِهَا ؛ فَالسَّيِّدُ دوينز كَانَ يَرِيدُ دَائِمًا أَنْ يَصْبِحَ طَبِيبًا ، وَكَانَ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الطَّبِّ . وَفِي أَثْنَاءِ أَدَاءِ التَّلَامِيذِ لِوُاجِبَاتِهِمْ فِي الْفَصْلِ كَانَ يَقْرَأُ كِتَابًا أحيانًا . وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ اسْمَ هَذَا الْكِتَابِ وَلَكِنْ أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَعْرِفَهُ . وَكَانَ دَائِمًا يَضَعُهُ فِي مَكْتَبِهِ ، وَيُغْلِقُ عَلَيْهِ . لِذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ اسْمَ الْكِتَابِ .

لَكِنْ عِنْدَمَا كَانَتْ بِكِي تَمُرُّ بِمَكْتَبِ النَّاطِلِ لَاحِظَتْ شَيْئًا : كَانَ الْمِفْتَاحُ فِي الْمَكْتَبِ ، وَكَانَتْ لِحِظَةً مُذهِلَةً ! تَلَفَّتْ حَوْلَهَا ، وَكَانَتْ وَحْدَهَا . وَبِشْجَاعَةٍ فَتَحَتْ دُرْجَ الْمَكْتَبِ ، وَأَخْرَجَتْ الْكِتَابَ ، وَقَرَأَتْ عُنْوَانَهُ « الطَّبُّ الْحَدِيثُ » تَأْلِيفُ أَحَدِ الْأَطْبَاءِ . وَبَدَأَتْ تَقْرَأُ ، لَكِنْ ظِلًّا سَقَطَ عَلَى الصَّفَحَاتِ . وَعِنْدَمَا نَظَرَتْ رَأَتْ توم سُوِيرَ ، فَأَغْلَقَتْ الْكِتَابَ بِسُرْعَةٍ ، لَكِنَّهَا كَانَتْ قَدْ مَزَّقَتْ نِصْفَهُ مِنَ الْوَسْطِ . وَكَانَ ذَلِكَ حَقِيقَةً شَيْئًا فَطِيعًا . لَقَدْ مَزَّقَتْ كِتَابَ النَّاطِلِ السَّرِيِّ ! ثُمَّ وَضَعَتْ الْكِتَابَ فِي الْمَكْتَبِ وَأَدَارَتْ الْمِفْتَاحَ . وَبَدَأَتْ تَبْكِي مِنَ الْخَجَلِ الَّذِي لَحِقَ بِهَا .

صَاحَتْ بِكِي : « توم سُوِير ، إِنِّي أَكْرَهُكَ . إِنَّكَ سَتَقُولُ لِلْسَّيِّدِ دوينز : أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ مَاذَا أَفْعَلُ الْآنَ ؟ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ إِنَّهُ لَمْ

يُعاقِبُنِي مُطْلَقًا وَالآنَ سَيَفْعَلُ ! « كَانَتْ غَاضِبَةً جِدًّا . ثُمَّ قَالَتْ :
« وَلَكِنِّي أَعْرِفُ شَيْئًا أَيضًا ! انْتَظِرْ هُنَا قَلِيلًا ! سَتَرَى ! إِنْ
أَكْرَمْتُكَ . أَكْرَمْتُكَ . »

انْدَفَعَتْ بِكِ خَارِجَةً ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ تَبْكِي بِغَضَبٍ ، وَلَمْ
يَفْهَمْ تَوْمَ السَّبَبِ ، وَقَالَ مُتَعَجِّبًا : « مَاذَا دَهَاهَا ؟ لِمَاذَا هِيَ خَائِفَةٌ
؟ لَنْ أَفْشِيَ الْأَمْرَ لِدُوْنِز الْعَجُوزِ . لَكِنَّهُ سَيَكْتَشِفُ الْأَمْرَ بِسُهُولَةٍ .
إِنَّهُ رَجُلٌ ذَكِيٌّ ، وَوُجُوهَ الْبَنَاتِ تَكْشِفُ دَائِمًا عَنِ الْحَقِيقَةِ .
لَكِنْ لَا يُهْمُنِي الْأَمْرُ . »

عَبَّرَ أَنَّهُ انْتَزَعَ فِي الْفَصْلِ عِنْدَمَا رَأَى وَجْهَ بِكِ الْقَلِقِ
الْمُضْطَرِّبِ . وَبَدَأَ الدَّرْسَ عِنْدَمَا دَخَلَ السَّيِّدُ دُوْنِز ، وَفِي الْحَالِ
أَخْرَجَ التَّلَامِيذَ دَفَاتِرَهُمْ . وَلَا حَظَّ النَّاطِرُ فِي الْحَالِ الْحَبْرَ عَلَى دَفْتَرِ
تَوْمَ ، وَأَبْدَتْ بِكِ الْكَثِيرَ مِنَ الْاهْتِمَامِ بِهَذَا الْمَوْقِفِ الْجَدِيدِ .

وَقَالَ تَوْمَ إِنَّهُ لَمْ يَسْكُبِ الْحَبْرَ عَلَى دَفْتَرِهِ . لَكِنَّ السَّيِّدَ دُوْنِزَ لَمْ
يُصَدِّقْهُ ، ثُمَّ عَاقَبَهُ بِالضَّرْبِ . وَرَاقَبَتْ بِكِ الضَّرْبَ ، لَكِنَّهَا لَمْ
تَكُنْ سَعِيدَةً حَقِيقَةً . وَأَرَادَتْ أَنْ تُخْبِرَ تَوْمَ بِمَا فَعَلَهُ الْفَرِيدُ بِدَفْتَرِهِ ،
لَكِنَّهَا ظَلَّتْ صَامِتَةً . وَفَكَّرَتْ : « سَيَقُولُ تَوْمَ إِنَّنِي مَزَّقْتُ كِتَابَ
النَّاطِرِ . لَنْ أَقُولَ كَلِمَةً وَاحِدَةً عَنِ الْحَبْرِ . »

وَمَرَّتْ سَاعَةٌ وَكَانَ النَّاطِرُ يَشْعُرُ بِالنَّعَاسِ ، وَلَكِنَّهُ فَتَحَ دُرْجَ
مَكْتَبِهِ ، وَأَخْرَجَ الْكِتَابَ وَبَدَأَ يَقْرَأُ . وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّ تَلْمِيذَيْنِ كَانَا
يُرَاقِبَانِهِ بِاهْتِمَامٍ .

كَانَ الْحُزْنُ مُرْتَسِمًا بِوُضُوحٍ عَلَى وَجْهِ بِكِ لِأَنَّ تَوْمَ نَسِيَ
شِجَارَةَ مَعَهَا . فَمَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ عَمَلُهُ لِيُسَاعِدَهَا ؟ أَرَادَ أَنْ يُسْرِعَ
نَحْوَ النَّاطِرِ وَيَخْطِفَ الْكِتَابَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّ الْوَقْتَ كَانَ قَدْ تَأَخَّرَ فِي
تِلْكَ اللَّحْظَةِ . كَانَ الْكِتَابُ مَفْتُوحًا ، وَالنَّاطِرُ يَنْظُرُ بِغَضَبٍ إِلَى
التَّلَامِيذِ .

تَسَاءَلَ النَّاطِرُ بِلَهْجَةٍ آمِرَةٍ : « مَنْ الَّذِي مَزَّقَ هَذَا الْكِتَابَ ؟ »
رَأَى الصَّمْتَ وَلَمْ يَصْدُرْ أَيُّ صَوْتٍ فِي الْغُرْفَةِ . نَظَرَ النَّاطِرُ فِي
كُلِّ وَجْهِ ، ثُمَّ صَرَخَ : « بَنِيَامِينَ رُوجُوزَ ، هَلْ مَزَّقْتَ هَذَا
الْكِتَابَ ؟ »

« لَا ، يَا سَيِّدِي . »

« جُوزَيْفَ هَارِبِرَ ، هَلْ مَزَّقْتَهُ ؟ »

رَدُّ جَوْ : « لَا ، يَا سَيِّدِي . »

لَمْ يُعْجِبْ ذَلِكَ تَوْمَ . وَاسْتَدَارَ النَّاطِرُ نَاحِيَةَ الْبَنَاتِ وَصَاحَ :

« آمي لورانس ، هل مَزَّقْتَ الكِتَابَ ؟ »

« لا ، يا سيدي . »

« جريسي ميلر ، هل مَزَّقْتَهُ ؟ »

« لا ، يا سيدي . »

« بكي ثاتشر ، هل مَزَّقْتَ .. لا أنظري في وجهي .. هل مَزَّقْتَ الكِتَابَ ؟ » ونَظَرَ توم إلى وجهها ، وكان مُمتنعاً مِنَ الخَوْفِ . وَخَطَرَتْ بِرَأْسِ توم فِكْرَةً ، فَقَفَزَ مِنْ مَكَانِهِ وَصَرَخَ : « أنا الَّذِي مَزَّقْتُهُ . »

دَهَشَ تَلامِيذُ وَتَلمِيذاتُ المَدْرَسَةِ ، وَوَقَفَ توم بُرْهَةً ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى الأمام . وَلاحظَ عَيْنِي بِكِي وَأَحَبَّهَا . رَأَى أَنَّهَا سَعِيدَةٌ ، وَرَأَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى أَنَّهَا تُحِبُّهُ . وَضَرَبَ النَّاطِرُ تومَ ضَرْباً مُوجِعاً ، وَأَمَرَهُ أَلَّا يَذْهَبَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعْدَ المَدْرَسَةِ . وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَمْكُثَ بِالمَدْرَسَةِ لِمُدَّةِ سَاعَتَيْنِ إِضَافِيَّتَيْنِ . وَلَكِنْ تومَ لَمْ يَهْتَمَّ بِالأمرِ كَثِيراً .

فَكَرَّرَ تومَ : « إِنَّهَا سَوْفَ تَنْتَظِرُنِي . مِنْ المُؤَكَّدِ أَنَّهَا سَتَنْتَظِرُنِي . »

وَبَعْدَ السَّاعَتَيْنِ كَانَتْ بِكِي هُنَاكَ فِي انْتِظَارِهِ . وَقَالَتْ لِتومَ كُلِّ

شَيْءٍ عَنِ الْفَرِيدِ ، ثُمَّ قَالَتْ : « توم ، إِنَّكَ مُدْهِشٌ ! كَيْفَ أَصْبَحْتَ نَبِيلاً عَلَى هَذَا النُّحْوِ ؟ »

الفصل السابع عشر نهاية الفصل الدراسي

عِنْدَمَا أَصْبَحَ الْفَصْلُ الدَّرَاسِيُّ قَرِيبًا مِنْ نَهَائِهِ ، جَعَلَ السَّيِّدُ دُونِرَ التَّلَامِيذَ يَعْمَلُونَ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ . وَكَانَ يَضْرِبُهُمْ إِذَا لَمْ يَعْمَلُوا بِجِدٍّ كَافٍ . وَأَعْضَبَ ذَلِكَ الْأَوْلَادَ ، وَقَرَّرُوا أَنْ يَطْلُوا رَأْسَ النَّاطِرِ بِالطَّلَاءِ . وَكَانَ السَّيِّدُ دُونِرَ قَدْ فَقَدَ شَعْرَ رَأْسِهِ جَمِيعَهُ ، لَكِنَّهُ كَانَ يَغْطِي رَأْسَهُ بِشَعْرِ مُسْتَعَارٍ . وَكَانَ قَدْ أَجَرَ عُرْفَةً فِي بَيْتِ رَسَامٍ حَيْثُ عَاشَ فِيهَا مَعَ زَوْجَتِهِ ، لَكِنَّهَا سَافَرَتْ لَوْفَتٍ قَصِيرٍ وَتَرَكَتْهُ وَحِيدًا .

وَنَاقَشَ التَّلَامِيذُ الْأَمْرَ مَعَ ابْنِ الرَّسَامِ ، فَوَافَقَ عَلَى أَنْ يَطْلِيَ رَأْسَ السَّيِّدِ دُونِرَ . وَكَانَ السَّيِّدُ دُونِرَ يَنَامُ أحيانًا فِي مَقْعَدِهِ ، وَيُمْكِنُ لِابْنِ الرَّسَامِ أَنْ يُنْجِزَ لَهُمُ الْعَمَلَ الَّذِي اتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ ، فَوَافَقَ أَنْ يُتِمَّ الْعَمَلَ قَبْلَ نَهَايَةِ الْفَصْلِ الدَّرَاسِيِّ . وَفِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ مِنْهُ يُمَكِّنُ لِلْأَوْلَادِ أَنْ يَنْعَمُوا بِالضَّحِكِ كَثِيرًا

وَجَاءَتِ الْأُمْسِيَّةُ الْعَظِيمَةُ . وَفِي الثَّامِنَةِ كَانَ النَّاطِرُ جَالِسًا فِي مَقْعَدِهِ الْكَبِيرِ ، وَمِنْ خَلْفِهِ السَّبَّوْرَةُ . وَكَانَ عَدَدُ كَبِيرٍ مِنْ سُكَّانِ الْقَرْيَةِ فِي الْحُجْرَةِ ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ أَوْلِيَاءُ أُمُورِ الطُّلُبَةِ وَأَبَاؤُهُمْ وَأُمَّهَاتُهُمْ ، لَكِنْ بَعْضَ النَّاسِ الْمُهِمِّينَ كَانُوا هُنَاكَ أَيْضًا . وَكَانَ التَّلَامِيذُ جَمِيعًا قَدْ ارْتَدُّوا مَلَابِسَ نَظِيفَةً ، لَكِنَّهَا لَمْ تَبْدُ مُرِيحَةً ، عَلَى حِينِ جَلَسَتْ الْبَنَاتُ وَالسَّيِّدَاتُ الشَّابَّاتُ وَقَدْ ارْتَدَيْنَ مَلَابِسَ جَمِيلَةً فَاحِرَةً .

وَقَفَ وَلَدٌ صَغِيرٌ جِدًّا ، وَسَارَ إِلَى الْمَسْرَحِ . وَاسْتَدَارَ لِيَنْظُرَ لِلنَّاسِ وَشَرَعَ يَقُولُ : « لَسْتُ مُتَقَدِّمًا فِي السَّنِّ ، وَلَكِنِّي سَادُهُشْكُمُ عَلَى خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ . »

وَرَأَى يَحْكِي قِصَّتَهُ كَأَنَّهُ آلهٌ ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَى النِّهَايَةِ جَلَسَ وَهُوَ فِي غَايَةِ السُّرُورِ . ثُمَّ وَقَفَتْ بِنْتُ صَغِيرَةٍ وَحَكَتْ قِصَّةَ أُخْرَى ، وَصَفَّقَ الْحَاضِرُونَ ، وَابْتَسَمَتْ لَهُمْ . وَكَانَتْ غَايَةً فِي السَّعَادَةِ عِنْدَمَا عَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا وَجَلَسَتْ عَلَى مَقْعَدِهَا .

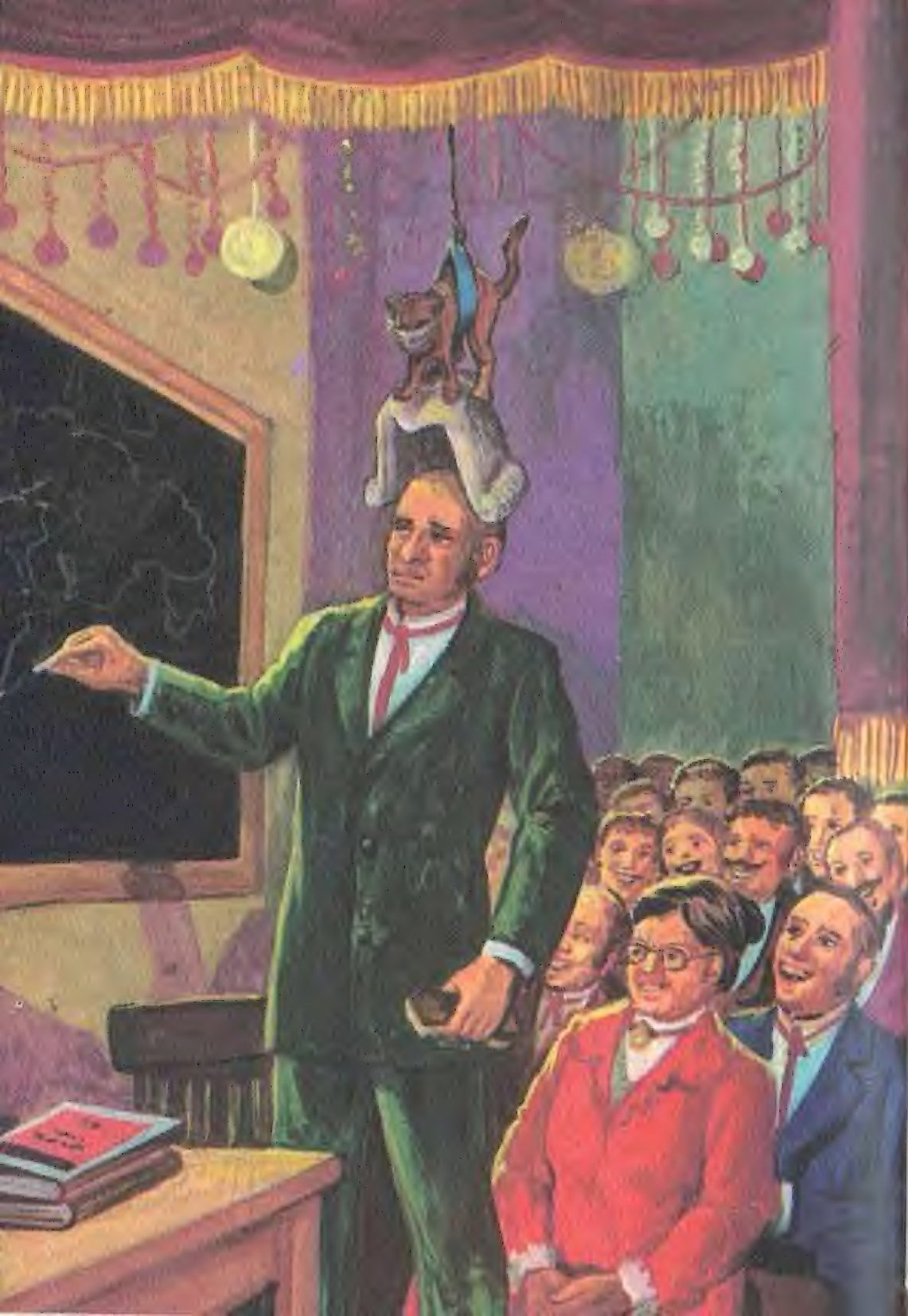
بَعْدَ ذَلِكَ نَهَضَ تَوْمٌ سَوِيرٌ مِنْ مَكَانِهِ لِيَقُومَ بِوَاجِبِهِ . قَالَ لِلنَّاسِ حَقِيقَةً هَامَةً ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ هِيَ أَنْ يَكُونَ خُرًّا أَوْ يَمُوتَ . وَبَدَأَ أَنَّهُ غَاضِبٌ بِسَبَبِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ ، وَلَوْحَ بِذِرَاعَيْهِ بِشِدَّةٍ وَقُوَّةٍ وَلَكِنَّهُ تَوَقَّفَ فَجَاءَتْ . وَسَقَطَتِ الذَّرَاعَانِ الْغَاضِبَتَانِ عَلَى جَانِبَيْهِ ، وَارْتَعَشَتْ رُكْبَتَاهُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّنَفُّسَ كَمَا يَنْبَغِي ، ثُمَّ وَقَفَ

بِصُعُوبَةٍ بِالْغَةِ . وَبَدَتْ لَهُ الْغُرْفَةُ وَكَأَنَّهَا تَدُورُ بِهِ وَتَدُورُ . وَرَأَى
صَمَتَ مُطْبِقٍ عَلَى الْقَاعَةِ ، وَبَدَأَ الْغَضَبُ عَلَى وَجْهِ النَّاطِلِ ، وَتَمَنَّى
تَوْمَ بِصَمَتٍ أَنْ يَتَحَرَّرَ أَوْ يَمُوتَ ، وَجَلَسَ . لَقَدْ فَشِلَ .

وَبَعْدَهُ وَقَفَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْأَوْلَادِ لِيَقْرَءُوا أَوْ لِيَتَكَلَّمُوا . وَقَامَتِ
البناتُ أَيْضًا بِإِدَاءِ أَدْوَارِهِنَّ . تَكَلَّمَ بَعْضُهُنَّ بِطَرِيقَةٍ جَيِّدَةٍ ، لَكِنْ
أَجْزَاءٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الشَّعْرِ كَانَتْ طَوِيلَةً . وَظَهَرَتْ سَيِّدَةٌ بَعِينِينَ
سُودَاوِينَ ، وَقَرَأَتْ مَوْضُوعًا طَوِيلًا بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ عَنْ فَنَاءِ جَمِيلَةٍ فِي
عَشْرِ صَفَحَاتٍ كَامِلَةٍ ، وَلَكِنْ أَحَدًا لَمْ يَهْتَمَّ بِمَا كَانَتْ تَقْرُؤُهُ .

بَعْدَ ذَلِكَ نَهَضَ السَّيِّدُ دُونِرُ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَ يَتَسَمَّى لِأَنَّ تَلَامِيذَهُ
أَجَادُوا وَأَرْضَوْهُ . وَذَهَبَ إِلَى السُّبُورَةِ ، وَبَدَأَ يَرَسِّمُ خَرِيطَةً لِأَمْرِيكَ ،
لَكِنْ يَدُهُ كَانَتْ تَرْتَعِشُ ، وَبَدَأَ النَّاسُ يَضْحَكُونَ لِأَنَّ الْخُطُوطَ الَّتِي
رَسَمَهَا لَمْ تَكُنْ صَحِيحَةً أَوْ دَقِيقَةً . وَظَهَرَتْ الْخُطُوطُ الَّتِي أَحَدُهَا
الطَّبَاشِيرُ فَوْقَ السُّبُورَةِ غَيْرَ وَاضِحَةٍ تَمَامًا . وَمَحَا السَّيِّدُ دُونِرُ بَعْضَ
هَذِهِ الْخُطُوطِ مِنَ السُّبُورَةِ . وَحَاوَلَ مَرَّةً أُخْرَى وَلَكِنْ أَزْدَادَ الْأَمْرَ
سُوءًا ، وَأَصْبَحَتِ الْخَرِيطَةُ فِي حَالَةٍ يُرْتَى لَهَا ، لَكِنَّهُ كَانَ مُصَمِّمًا
وَعَمِلَ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ . وَتَرَكَّزَتْ جَمِيعُ الْعُيُونِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ
كُلُّ شَخْصٍ فِي الْقَاعَةِ يَضْحِكُ بِالضَّحِكِ .

وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ قِطْعَةٌ فَوْقَ رَأْسِهِ ، وَأَخَذَتْ تَهَيِّطُ إِلَى الْأَرْضِ بِطُءٍ



وَهِيَ مَرْبُوطَةٌ فِي طَرَفِ خَيْطٍ . وَكَانَ هَذَا الْهُجُومُ قَدْ دَبَّرَهُ صَبِيٌّ
فِي الْغُرْفَةِ ؛ فَقَدْ رَبَطَ قِطْعَةً قُمَاشٍ حَوْلَ فَمِ الْقِطْعَةِ حَتَّى لَا تَمُوءَ أَوْ
تُصْدِرَ صَوْتًا .

وَأَمْتَلَأَتِ الْغُرْفَةُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالْأَصْوَاتِ . وَكَانَ الْجَمِيعُ
يَضْحَكُونَ بِصَوْتٍ عَالٍ . وَهَبَطَتِ الْقِطْعَةُ يَبْطُءً فَوْقَ رَأْسِ النَّاطِرِ
بِحَيْثُ لَمْ يَرَهَا ؛ فَقَدْ كَانَ مَشْغُولًا بِالْخَرِيطَةِ . وَأَصْبَحَتِ الْقِطْعَةُ
قَرِيبَةً مِنْ شَعْرَةِ الْمُسْتَعَارِ . وَكَانَتْ غَاضِبَةً جَدًّا لِضَيْقِهَا مِنْ وَضْعِهَا
هَذَا الْغَرِيبِ . وَأَخِيرًا وَصَلَتِ الْقِطْعَةُ إِلَى الشَّعْرِ الْمُسْتَعَارِ وَجَدَبَتْهُ مِنْ
فَوْقَ رَأْسِ النَّاطِرِ .

تَصَرَّفَ الصَّبِيُّ فِي الْغُرْفَةِ الَّتِي تَعْلُو غُرْفَةَ الْاِحْتِفَالِ عَلَى
الْفَوْرِ ، فَجَذَبَ الْقِطْعَةَ إِلَى أَعْلَى مَرَّةٍ أُخْرَى بِسُرْعَةٍ . لَكِنْ كَانَ
كُلُّ إِنْسَانٍ يَنْظُرُ وَيَحْمِلُقُ فِي رَأْسِ النَّاطِرِ وَلَمْ يَهْتَمَّ أَحَدٌ بِالْقِطْعَةِ فِي
تِلْكَ اللَّحْظَةِ . وَكَانَتِ الرَّأْسُ تَلْمَعُ تَحْتَ الضُّوءِ ، لَكِنْ لَوْنُهَا لَمْ
يَكُنْ مَالُوفًا . فَقَدْ دَهَنَهَا ابْنُ الرَّسَامِ ، وَكَانَ لَوْنُهَا يَلُونُ الذَّهَبَ .

وَبِهَذَا انْتَهَى الْفَصْلُ الدَّرَاسِيُّ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ ، وَبَدَأَتِ الْإِجَازَةُ .

الفصل الثامن عشر

مُحَاكَمَةُ مَافِ بَوْتَرِ

مَرَّتِ الْأَيَّامُ يَبْطُءً بِالنِّسْبَةِ لِتَوَمِ سَوِيرِ . وَكَانَتْ بِكِي ثَانِثَرُ قَدْ
سَافَرَتْ مَعَ وَالِدَيْهَا لِقَضَاءِ إِجَازَةٍ فِي مَدِينَةِ قُنِسْطَنْطِينُوبُلِ ، إِحْدَى
مُدُنِ أَمْرِيكََا ، وَلَمْ يَعُدْ تَوَمُ يَرَاهَا .

وَلَمْ يَنْسَ تَوَمُ جَرِيمَةَ قَتْلِ الطَّبِيبِ ، وَقَدْ جَعَلَهُ هَذَا الْأَمْرُ قَلَقًا .
ثُمَّ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَمْكُثَ فِي الْفِرَاشِ لِمُدَّةِ أَسْبُوعَيْنِ بِسَبَبِ مَرَضِهِ .
وَفِيمَا بَعْدَ مَرَضٍ مَرَّةٍ أُخْرَى وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ مَكُثَ فِي الْفِرَاشِ ثَلَاثَةَ
أَسَابِيعَ . وَكَانَتْ حَيَاةُ تَوَمِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ غَيْرَ سَعِيدَةٍ .

مَرَّ عَلَى وُجُودِ مَافِ بَوْتَرِ فِي السَّجْنِ وَقْتُ طَوِيلٍ . وَكَانَ مَوْعِدُ
مُحَاكَمَتِهِ قَدْ اقْتَرَبَ ، وَلَمْ يَنْسَ تَوَمُ السُّرَّ الرَّهِيْبَ . وَارْتَعَشَ عِنْدَمَا
سَمِعَ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ جَرِيمَةِ الْقَتْلِ ، فَقَدْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَافِ
بَوْتَرِ كَانَ مُذْنِبًا . وَقَالَ لِنَفْسِهِ : « لَعَلَّ الْجَمِيعَ سَيَظُنُّونَ نَفْسَ الظَّنِّ

في المحاكمة !»

وَقَرَّرَ توم أن يَتَنَاقَشَ بِشأنِ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ مَعَ هَاكِيليري ، فَذَهَبَ مَعَهُ إِلَى مَكَانٍ مُنْعَزِلٍ وَسَأَلَهُ : « هَلْ سَبَقَ أَنْ قُلْتَ لِأَيِّ شَخْصٍ عَنْ الْجَرِيمَةِ ، يَا هَاك ؟ »

أَجَابَ : « بِالطَّبَعِ لَمْ أَفْعَلْ . »

« وَلَا كَلِمَةً وَاحِدَةً ؟ »

« وَلَا كَلِمَةً .. لِمَاذَا تَسْأَلُ ؟ »

قَالَ توم : « لِأَنِّي خَائِفٌ . »

قَالَ هَاكِيليري : « إِذَا اكْتَشَفَ رَدَّ جَوِّ الْأَمْرِ فَسَيَقْتُلُكَ ، يَا توم سَوِيرٌ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ رَدَّ جَوِّ سَيَقْتُلُكَ . وَعِنْدَمَا تَكُونُ مَيِّتًا فَإِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ الْكَلَامَ . »

قَالَ توم : « نَحْنُ فِي مَأْمَنٍ إِذَا لَمْ نَقُلْ شَيْئًا . هَلْ نَتَعَاهَدُ مَرَّةً أُخْرَى ؟ »

وَتَعَاهَدَ الْاِثْنَانِ أَلَا يَقُولَا شَيْئًا ، وَاسْتَخْدَمَا كَلِمَاتٍ مُخِيفَةً ثُمَّ أَصْبَحَا أَكْثَرَ سَعَادَةً بَعْدَ ذَلِكَ .

قَالَ توم : « إِنَّ كُلَّ شَخْصٍ هُنَا يَظُنُّ أَنَّ مَافَ هُوَ الَّذِي قَتَلَ الطَّبِيبَ . »

« نَعَمْ ، إِنَّهُ مَافَ بَوْتِرَ دَائِمًا . إِنَّهُمْ جَمِيعًا يَتَكَلَّمُونَ عَنْ مَافَ . وَأَنَا أَكْرَهُ هَذَا الْأَمْرَ . أحيانًا أُرِيدُ أَنْ أَهْرَبَ بَعِيدًا وَأَخْتَفِي . »

سَأَلَهُ توم : « أَلَا تَشْعُرُ بِالْأَسْفِ أحيانًا مِنْ أَجْلِ مَافَ ؟ »

أَجَابَ هَاكِيليري : « أَشْعُرُ بِالْأَسْفِ دَائِمًا ، فَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ أَيَّ شَيْءٍ لِيُضُرَّ أَيُّ شَخْصٍ . إِنَّهُ يَصْطَادُ السَّمَكَ لِلْحُصُولِ عَلَى الْمَالِ . إِنَّهُ يَبِيعُ السَّمَكَ ثُمَّ يَشْتَرِي بِشَمْنِهِ مَا يَحْتَاجُهُ . أَعْطَانِي مَرَّةً نِصْفَ سَمَكَةٍ . »

قَالَ توم : « أَلَا يُمَكِّنُنَا إِخْرَاجُهُ مِنَ السَّجْنِ ، يَا هَاك ؟ »

« لَا نَسْتَطِيعُ ، يَا توم . وَإِذَا فَعَلْنَا فَسَوْفَ يَقْبِضُونَ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى . »

اسْتَمَرَ الْوَلَدَانِ يَتَحَادَثَانِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ ، لَكِنَّهُمَا لَمْ يَجِدَا رَاحَةً ، فَذَهَبَا إِلَى السَّجْنِ وَتَكَلَّمَا مَعَ مَافَ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ . وَأَثْنَى مَافَ عَلَى الْوَلَدَيْنِ وَشَكَرَهُمَا قَائِلًا : « إِنَّكُمَا نِعَمَ الصَّدِيقَانِ لِي ، وَأَنْتُمَا عِزَاءُ وَرَاحَةٌ لِي فِي مِحْنَتِي . »

وَعَادَ توم إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَتْ أَحْلَامُهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَلِئَةً بِأَشْيَاءَ مُرْعِيَةٍ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ إِلَى الْحَكْمَةِ ، وَانْتَظَرَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا . وَكَانَتْ مُحَاكَمَةُ بَوْتِرَ قَدْ بَدَأَتْ دَاخِلَ الْحَكْمَةِ . كَمَا كَانَ قَرِيبًا

مِنَ الْمُحْكَمَةِ أَيْضًا فِي الْيَوْمِ التَّالِي . وَكَانَ هَاكِلِيرِي هُنَاكَ هُوَ
الْآخَرُ ، وَلَكِنَّ الْاِثْنَيْنِ لَمْ يَلْتَقِيَا . وَعِنْدَمَا رَأَى أَحَدُهُمَا الْآخَرَ تَحَاشَى
مُقَابَلَتَهُ . وَفِي نِهَآيَةِ الْيَوْمِ الثَّانِي ، صَدَّقَ جَمِيعُ النَّاسِ رَدَّ جَوْ ، فَقَدْ
كَانَ يَقُولُ دَائِمًا نَفْسَ الشَّيْءِ ، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ كَلِمَاتُهُ مُطْلَقًا . قَالَ إِنَّ
بوتر قَتَلَ الطَّبِيبَ .

وَعَادَ توم إِلَى بَيْتِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مُتَأَخِّرًا جِدًّا ، فَأَحْدَثَ الْمَسَاءِ
أَثَارَتَهُ ، وَلَمْ يَنْمَ لِعِدَّةِ سَاعَاتٍ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي كَانَتْ الْمُحْكَمَةُ
مُزْدَحِمَةً بِالنَّاسِ ؛ فَقَدْ كَانَ يَوْمَ الْأَحْدَاثِ الْهَامَّةِ . وَعِنْدَمَا جَاءُوا
بِمَافٍ بوتر إِلَى دَاخِلِ الْمُحْكَمَةِ ، كَانَ وَجْهُهُ شَاحِبًا وَتَكْسُوهُ
عَلَامَاتُ الْيَأْسِ . وَكَانَ هُنَاكَ رَدَّ جَوْ ، الَّذِي اعْتَادَ أَنْ يَحْضُرَ
الْمُحَاكَمَةَ مِنْ قَبْلُ .

قَالَ أَحَدُ الرُّجَالِ : « رَأَيْتُ بوتر وَهُوَ يَغْسِلُ يَدَيْهِ فِي الْغَدِيرِ ،
وَكَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ ارْتِكَابِ جَرِيمَةِ الْقَتْلِ . وَعِنْدَمَا انْتَهَى غَادَرَ
الْمَكَانَ سِرًّا . » وَأَذْلَى رَجُلٌ آخَرُ بِمَعْلُومَاتٍ عَنْ سِكِّينِ بوتر فَقَالَ :
« إِنَّهَا كَانَتْ بِجَوَارِ الْجُنَّةِ فِي الْمَدَافِنِ . » وَلَمْ يُدَافِعْ أَحَدٌ عَنْ مَافٍ
بوتر . كَانَ كُلُّ شَيْءٍ ضِدَّهُ . وَبَدَتْ الْقَضِيَّةُ وَاضِحَةً ، لَكِنْ فَجَاءَتْ
صَاحَ صَوْتٌ : « نَادُوا عَلَى توماس سوير . » وَدَهَشَ كُلُّ شَخْصٍ فِي
الْمُحْكَمَةِ عِنْدَ سَمَاعِهِ اسْمَ توماس سوير ، حَتَّى بوتر نَفْسَهُ أَخَذَتْهُ

الدَّهْشَةُ . وَلَمْ يَتَوَقَّعْ أَحَدٌ أَنْ يَرَى توم سوير هُنَاكَ . وَبَدَأَ النَّاسُ
يَتَسَاءَلُونَ : « مَا الَّذِي يَعْرِفُهُ عَنْ جَرِيمَةِ الْقَتْلِ ؟ »

وَقَفَ توم فِي مَكَانِهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ كُلُّ شَخْصٍ فِي قَاعَةِ الْمُحْكَمَةِ .
سَمِعَ صَوْتًا يَسْأَلُهُ سُؤَالًا ، وَحَاوَلَ أَنْ يُفَكِّرَ بوضوحٍ : « توماس سوير ،
أَيْنَ كُنْتَ فِي لَيْلَةِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ يُونِيهِ ؟ »

رَأَى توم وَجْهَ رَدَّ جَوْ فِي الْمُحْكَمَةِ وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْكَلَامَ . وَانْتَظَرَ
كُلُّ وَاحِدٍ فِي الْمُحْكَمَةِ بِصَمْتٍ ، وَلَكِنْ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ قَمَرِ توم آيَةٌ
كَلِمَاتٍ . وَفَجْأَةً شَعَرَ أَنَّ يَامَكَانِهِ الْكَلَامَ فَقَالَ بِهَدوءٍ : « كُنْتُ
فِي الْمَدَافِنِ . »

« ارْفَعْ صَوْتَكَ مِنْ فَضْلِكَ وَلَا تَخَفْ ، يَا فَتَى . »

أَعَادَ توم مَا قَالَهُ : « كُنْتُ فِي الْمَدَافِنِ . »

وَعَبَّرَتْ ابْتِسَامَةٌ بِوَجْهِ رَدَّ جَوْ .

« هَلْ كُنْتَ بِالْقُرْبِ مِنْ قَبْرِ هورس ويليامز ؟ »

قَالَ توم : « نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي . »

« إِلَى آيَةِ مَسَافَةٍ كُنْتَ قَرِيبًا مِنَ الْقَبْرِ ، يَا سوير ؟ »

« تَمَامًا كَمَا أَنَا قَرِيبٌ مِنْكَ الْآنَ . »

« هَلْ كُنْتَ مُخْتَفِيًا أَمْ لَا ؟ »

ردّ توم : « كُنْتُ مُخْتَفِياً . »

« آيَنَ ؟ »

قال توم : « خَلَفَ الْأَشْجَارَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْقَبْرِ . »

كَانَ توم يَتَكَلَّمُ بِوُضوحٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَكَانَ رد جو يَنْظُرُ بِدَهْشَةٍ وَقَلَقٍ .

وَاسْتَمَرَّتِ الْأَسْئَلَةُ : « هَلْ كَانَ مَعَكَ أَيُّ شَخْصٍ فِي الْمَدَافِنِ ؟ »

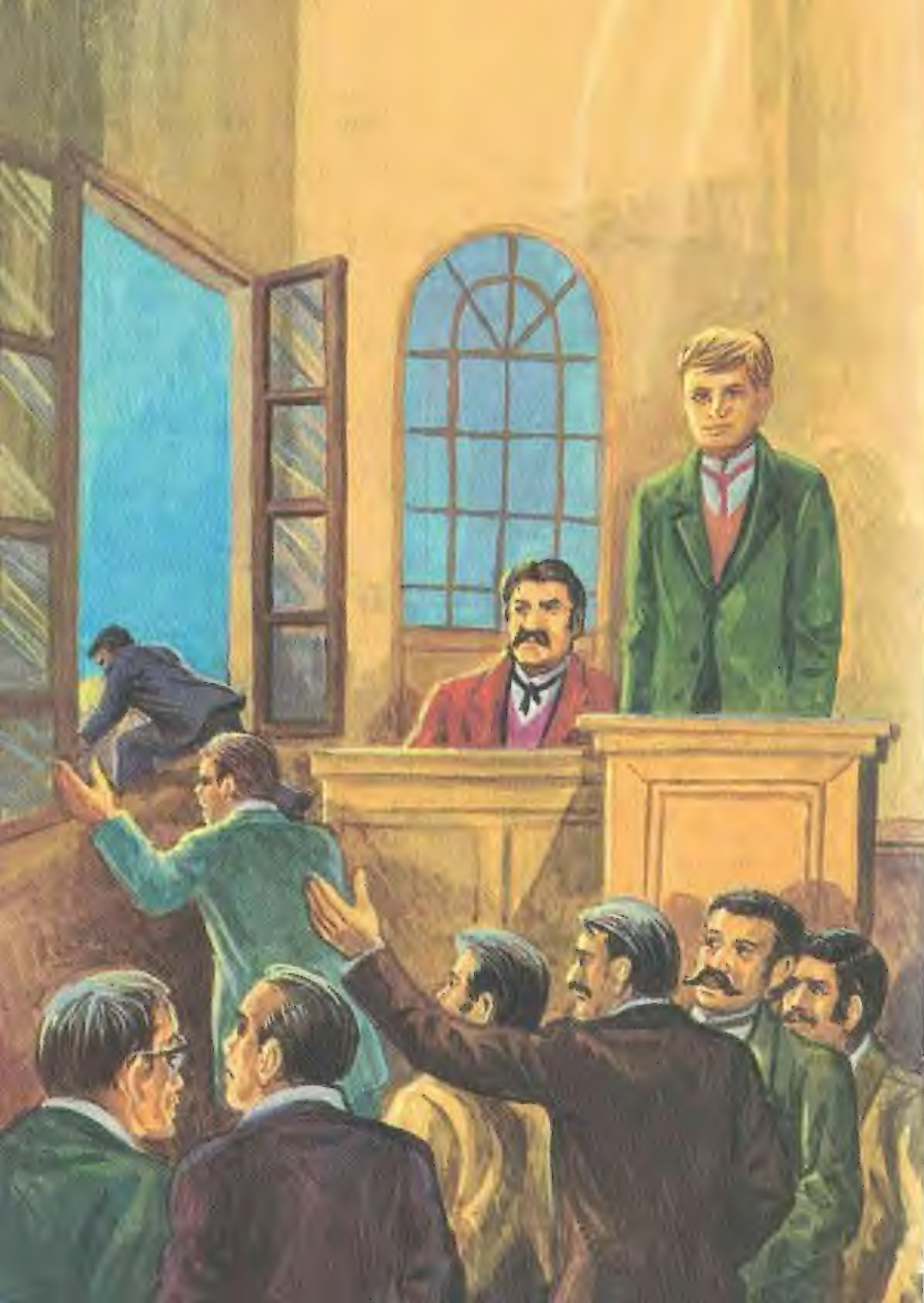
« نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي . ذَهَبْتُ مَعَ ... »

« انْتَظِرْ لِحِظَةٍ ! لَا تَذْكُرْ اسْمَ صَدِيقِكَ . مَا الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي

الْمَدَافِنِ ؟ قُلْ لَنَا ذَلِكَ فَقَطْ . »

بَدَأَ توم الْكَلَامَ بِطُءٍ ، لَكِنْ سَرَّعَانَ مَا رَاحَ يَتَكَلَّمُ بِطَلَاقةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي قَاعَةِ الْمَحْكَمَةِ أَيُّ صَوْتٍ آخَرَ . وَحَكَى توم قِصَّتَهُ جَيِّدًا ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى نِهَائِهَا وَقَالَ : « ضَرَبَ الطَّبِيبُ السَّيِّدَ بوتر بِلُوحٍ خَشَبِيٍّ فَسَقَطَ بوتر عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَفَزَ رد جو بِالسُّكَّيْنِ ، ثُمَّ غَرَسَ السُّكَّيْنِ ... »

لَكِنْ رد جو لَمْ يَنْتَظِرْ لِيَسْمَعَ نِهَايَةَ الْقِصَّةِ ، بَلْ قَفَزَ مِنْ مَقْعَدِهِ فِي قَاعَةِ الْمَحْكَمَةِ ، وَجَرَى نَحْوَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ . وَأَوَّعَ كُلُّ شَخْصٍ كَانَ فِي طَرِيقِهِ ، وَقَفَزَ مِنَ النَّافِذَةِ ، وَاخْتَفَى عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ .



أَصْبَحَ تومَ رَجُلًا مُهِمًا مَرَّةً أُخْرَى ، وَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْهُ .
وَكَانَتْ أَيَّامُهُ مُدْهِشَةً ، لَكِنَّ لَيْالِيَهُ كَانَتْ مُفْزَعَةً . لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ
يَنْسَى رَدَّ جَوْ . كَانَ الرَّجُلُ حَرًّا طَلِيقًا . رَبَّمَا يَكُونُ مُنْتَظِرًا تومَ .
وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَقْتُلَ تومَ فِي آيَةٍ لَيْلَةٍ فِي الظُّلَامِ . وَلَمْ يَشَأْ تومَ أَنْ
يَخْرُجَ فِي اللَّيْلِ .

وَكَانَ هَاكِلِيرِي خَائِفًا هُوَ الْآخِرُ بِسَبَبِ دَوْرِ تومَ فِي الْقَضِيَّةِ .
لَقَدْ وَعَدَ تومَ مِنْ قَبْلُ أَلَّا يَقُولَ شَيْئًا ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْمَحْكَمَةِ وَقَالَ
لِلْجَمِيعِ عَمَّا حَدَثَ

وَقَالَ هَاكِلِيرِي لِنَفْسِهِ : « رَبَّمَا قَالَ لِشَخْصٍ عَنِّي أَنَا أَيْضًا !
كَيْفَ لِي أَنْ أَعْرِفَ ؟ »

وَشَكَرَ مَافَ بوترَ الصَّبِيِّ تومَ لِمُسَاعَدَتِهِ . وَأَصْبَحَ مَافَ حَرًّا ؛ إِذْ
أُطْلِقَ سَرَاحُهُ فِي الْحَالِ . وَلَكِنْ لَمْ يَعَثُرْ أَحَدٌ عَلَى رَدِّ جَوْ . وَكَانَ
الْمَأْمُورُ يَبْحَثُ بِاسْتِمْرَارٍ عَنْهُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَرَهُ أَيُّ إِنْسَانٍ ؛ فَأَيْنَ ذَهَبَ ؟
وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ ، وَلَكِنْ رَدَّ جَوْ لَمْ يَعُدْ . وَبَدَأَ تومَ يَفْقِدُ خَوْفَهُ ، وَفَارَقَتْ
وَجْهَهُ نَظْرَةُ الْخَوْفِ وَالذُّعْرِ .

الفصل التاسع عشر

تَحْتَ الشَّجَرَةِ الْمَيِّتَةِ

الْعُثُورُ عَلَى كَنْزٍ فِي الْأَرْضِ هُوَ حُلْمٌ كُلُّ فَتَى . وَكَانَ ذَلِكَ
وَاحِدًا مِنْ أَحْلَامِ تومَ أَيْضًا . وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهَاكِلِيرِي إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يَحْفَرَ الْأَرْضَ بَحْثًا عَنْ كَنْزٍ ، وَوَاقَفَهُ هَاكِلِيرِي قَائِلًا : « إِنَّهَا فِكْرَةٌ
رَائِعَةٌ ، فَأَيْنَ سَنَحْفِرُ الْأَرْضَ ؟ »

أَجَابَهُ تومَ : « يُمَكِّنُنَا أَنْ نَحْفَرَ فِي أَيِّ مَكَانٍ . »

« هَلْ يُخْفِي النَّاسُ كُنُوزَهُمْ فِي أَيِّ مَكَانٍ ؟ »

« لَا ، إِنَّهُمْ يُخَبِّثُونَهَا فِي أَمَاكِنَ خَاصَّةٍ ؛ فَالْقَرَّاصِينَةُ يُخَبِّثُونَ
كُنُوزَهُمْ فِي الْجُزْرِ . وَيُخْفِيهَا بَعْضُ الرُّجَالِ فِي صِنَادِيقٍ تَحْتَ
الْأَرْضِ . وَآخَرُونَ يُخْفُونَهَا تَحْتَ أَشْجَارٍ مُعَيَّنَةٍ وَيُرَاقِبُونَ ظِلَّ الشَّجَرَةِ .
وَفِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ يَغْطِي الظِّلُّ مَكَانًا وَاحِدًا بِعَيْنِهِ . وَيُخَبِّثُونَ ذَهَبَهُمْ



في منازل قديمة . وهناك أعداد كبيرة من الأشباح في بعض
البيوت العتيقة ، فهذه أحسن الأماكن لإخفاء الكنز .

تسأل هاكليري : « ومن يخفي ذهباً مثل ذلك الذهب الذي
ذكرته ؟ »

« اللصوص والقراصنة ؛ فهم يخفون الذهب معتقدين أنهم
سيعودون لأخذه . لكنهم يذهبون إلى السجون أو يموتون ؛ لذلك
لا يعودون فيظل الكنز هناك . أما الأشخاص الأذكاء فيمكنهم أن
يعثروا عليه إذا بحثوا بطريقة سليمة . »

سأله هاكليري : « كيف تجد المكان الصحيح ؟ »

أجاب توم : « يمكننا أن نبحث في جميع الأماكن . يمكننا
أن نبحث في البيوت القديمة وتحت شجرة كبيرة . »

« إذا ، يا توم ، فسوف نبحث طوال الصيف . »

« يمكننا أن نجرب تلك الشجرة القديمة الميتة . هل نذهب
إليها ؟ »

قال هاكليري : « نعم ، سنفعل ذلك . »

كانت الشجرة على بعد خمسة كيلومترات ، وعندما وصلا
إليها ، كانا متعبين ، فاستلقيا تحتها ليسترخيا . ثم حفرا تحتها بقوة

لِمُدَّةِ سَاعَةٍ ، لَكِنَّهُمَا لَمْ يَعْثُرَا عَلَى شَيْءٍ . وَحَاوَلَا فِي مَكَانٍ آخَرَ ،
فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا .

قَالَ توم : « لَا بُدَّ أَنْ نَأْتِيَ مَرَّةً أُخْرَى فِي اللَّيْلِ . » وَكَانَ يَنْتَفِسُّ
بِصُعُوبَةٍ ، ثُمَّ أَضَافَ : « لَا بُدَّ أَنْ نُرَاقِبَ ظِلَّ الشَّجَرَةِ ، فَسَيَدُلُّنَا
عَلَى الْمَكَانِ الصَّحِيحِ . »

وَعَادَ الاثْنَانِ إِلَى الشَّجَرَةِ فِي اللَّيْلَةِ نَفْسِهَا ، وَانْتَظَرَا هُنَاكَ حَتَّى
السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ . وَرَأَى كُلُّ مِنْهُمَا مَكَانَ الظِّلِّ ، وَحَفَرََا حُفْرَةً
أُخْرَى فِي نِهَايَةِ الظِّلِّ ، لَكِنَّهُمَا لَمْ يَجِدَا شَيْئًا ، فَحَزِنَا .

قَالَ هَاكِلِيرِي : « لَا بُدَّ أَنْ نُجَرِّبَ مَكَانًا آخَرَ ، يَا توم »
« لَا بَأْسَ . »

« أَيْنَ نُجَرِّبُ الْحَقَرَ ؟ »

أَجَابَ توم : « فِي الْبَيْتِ الَّذِي تَسْكُنُهُ الْأَشْبَاحُ . ذَلِكَ هُوَ
الْمَكَانُ . ذَلِكَ الْبَيْتُ الْقَدِيمُ هُنَاكَ . »

قَالَ هَاكِلِيرِي بِطُغْيٍ : « أَنَا لَا أَحِبُّ الْبُيُوتَ الَّتِي تَسْكُنُهَا
الْأَشْبَاحُ لِأَنَّهَا أَسْوَأُ مِنَ الْمَوْتَى . وَهَذِهِ الْبُيُوتُ مَلَانَّةٌ بِالْأَرْوَاحِ ،
وَتَظْهَرُ لَكَ بِهَدْوٍ . وَأَنَا لَا أَتَحَمَّلُ هَذَا النُّوعَ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، يَا توم ،

وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ . »

رَدَّ عَلَيْهِ توم : « لَكِنَّ الْأَرْوَاحَ تَهَيِّمُ بِاللَّيْلِ فَقَطُّ ، يَا هَاكَ ، وَلَا
تَهَيِّمُ فِي النَّهَارِ . هَلْ رَأَيْتَ أَبَدًا رُوحًا فِي بَيْتٍ مَسْكُونٍ بِالْأَشْبَاحِ
فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ ؟ كَذَلِكَ لَمْ يَرَ أَحَدٌ مُطْلَقًا رُوحًا فِي هَذَا الْبَيْتِ .
لَقَدْ شُوهِدَ ضَوْءُ أَزْرَقٍ بِالْقُرْبِ مِنَ النُّوَافِذِ وَلَا شَيْءَ آخَرَ . »

كَانَ هَاكِلِيرِي لَا يَزَالُ غَيْرَ مُتَأَكِّدٍ ، لَكِنَّهُ قَالَ : « رُبَّمَا تَكُونُ
عَلَى صَوَابٍ . سَنَذْهَبُ وَنُجَرِّبُ فَقَطُّ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ . »

وَهَبَطَ الاثْنَانِ مِنْ فَوْقِ التِّلِّ حَتَّى شَاهَدَا الْبَيْتَ الَّذِي تَسْكُنُهُ
الْأَشْبَاحُ . وَكَانَ الْبَيْتُ خَاوِيًا وَقَائِمًا وَحْدَهُ ، وَكَانَتِ الْحَدِيقَةُ مَمْلُوءَةً
بِأَعْشَابٍ طَوِيلَةٍ ، وَالسُّورُ الَّذِي يُحِيطُ بِهِ مُتَهَدِّمًا ، وَقَدْ سَقَطَ جُزْءٌ
مِنَ السَّقْفِ ، وَالنُّوَافِذُ خَالِيَةٌ مِنَ الزُّجَاجِ . وَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ الْوَلَدَانِ
لِلْحِظَّةِ ، لَكِنَّهُمَا لَمْ يُشَاهِدَا أَيَّ ضَوْءٍ وَلَمْ يَقْتَرِبَا مِنَ الْبَيْتِ بَلْ عَادَا
إِلَى الْقَرْيَةِ سَائِرِينَ وَسَطَ الْأَشْجَارِ .

وَلَمْ يَعَثْراً عَلَى شَيْءٍ فِي الْغُرْفَةِ السُّفْلِيَّةِ ، فَتَرَكَمَا أَدْوَاتَهُمَا فِي رُكْنٍ ثُمَّ صَعِدَا إِلَى الدَّوْرِ الْعُلَوِيِّ . وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَجِدَا شَيْئاً هُنَاكَ وَقَرَّرَا التَّزُولَ إِلَى أَسْفَلٍ مَرَّةً أُخْرَى . وَفَجْأَةً سَمِعَا صَوْتاً فَاحْتَفَيَا فِي الْحَالِ .

هَمَسَ توم لِزَمِيلِهِ : « لَا تَتَحَرَّكْ ! »

اسْتَلْقَى الاثنانِ عَلَى الْأَرْضِ وَرَاحَا يَنْظُرَانِ إِلَى أَسْفَلٍ مِنْ خِلَالِ بَعْضِ الثُّقُوبِ ، وَاسْتَطَاعَا أَنْ يُشَاهِدَا الْغُرْفَةَ كُلَّهَا بِوُضُوحٍ . وَدَخَلَ رَجُلَانِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْوَلَدَيْنِ لِنَفْسِهِ : « هُنَاكَ ذَلِكَ الْإِسْبَانِيُّ الْعَجُوزُ وَهُوَ أَبُكُمُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَرِ الرَّجُلَ الْآخَرَ مِنْ قَبْلُ . » كَانَ شَعْرُ الْإِسْبَانِيِّ طَوِيلاً أَبْيَضَ اللَّوْنِ ، وَقَدْ وَضَعَ عَلَى عَيْنَيْهِ نَظَّارَةً خَضِرَاءَ اللَّوْنِ . وَقَدْ رَأَى أَشْخَاصَ كَثِيرِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَلَكِنْ أَحَدًا لَمْ يَعْرِفِ اسْمَهُ . وَجَلَسَ الْإِسْبَانِيُّ عَلَى الْأَرْضِ ، وَتَحَدَّثَ مَعَ زَمِيلِهِ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ .

قَالَ هَاكِلِيرِي : « إِنَّ الْإِسْبَانِيَّ يَتَكَلَّمُ ! كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ أَبُكُمُ . » وَأَبْدَى توم إِشَارَةً فَصَمَتَ هَاكِلِيرِي .

قَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ : « أَنَا لَا أَوَافِقُ ، لِأَنَّ الْأَمْرَ غَيْرُ مَأْمُونٍ . »

صَاحَ الْإِسْبَانِيُّ : « غَيْرُ مَأْمُونٍ ! »

وَدَهَشَ توم وَهَاكِلِيرِي لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ إِسْبَانِيًّا .

الفصل العشرون

في البيت المسكون

فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ وَصَلَ الْوَلَدَانِ إِلَى الشَّجَرَةِ الْمَيْتَةِ مَرَّةً أُخْرَى ؛ فَقَدْ جَاءَا لِأَخَذِ الْأَدْوَاتِ الَّتِي تَرَكَاهَا هُنَاكَ . وَلَكِنَّهُمَا تَذَكَّرَا أَنَّ الْيَوْمَ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .

قَالَ توم : « يَجِبُ أَلَّا نَذْهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ ؛ فَيَوْمَ الْجُمُعَةِ لَيْسَ يَوْمٌ سَعْدٍ . »

وَعَادَرَ الاثنانِ الْمَكَانَ وَعَادَا إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ، وَحَمَلَا أَدْوَاتَهُمَا إِلَى الْبَيْتِ الْمَسْكُونِ بِالْأَشْبَاحِ ثُمَّ دَخَلَاهُ . وَكَانَ الْمَكَانُ هَادِئًا وَمُخِيفًا . وَشَعَرَا بِالْخَوْفِ ، وَتَكَلَّمَا فِي هَمَسٍ وَبِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ . وَلاحظَا أَنَّ أَرْضَ الْبَيْتِ مُسْتَوِيَّةٌ ، وَأَنَّ بَعْضَ دَرَجَاتِ سُلَّمِ تَقْوُدٍ إِلَى غُرْفَةٍ أُخْرَى فِي الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ .

كَانَ الصَّوْتُ يُشْبِهُ صَوْتَ رَدِّ جَوْ .

قال رد جو: « هَذَا الْمَكَانُ غَيْرُ آمِنٍ ، وَكَانَ يَجِبُ أَلَّا نَأْتِيَ إِلَى هُنَا . »

« أَنَا أَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ هُنَاكَ مَكَانٌ أَفْضَلُ مِنْهُ . أَرَدْتُ أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْمَنْزِلَ وَلَكِنْ هَذَيْنِ الْوَلَدَيْنِ كَانَا هُنَاكَ ، وَيُمْكِنُهُمَا أَنْ يُشَاهِدَاهُ . كَيْفَ يُمْكِنُنَا السَّفَرُ إِلَى خَارِجِ الْبِلَادِ ؟ »
وَأَرْتَعَشَ الْوَلَدَانِ .

قال جو : « أَتُصِتُ .. أَذْهَبُ إِلَى أَعْلَى النَّهْرِ ، وَانْتَظِرْ هُنَاكَ . سَأَذْهَبُ إِلَى الْمَدِينَةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَسَأَنْجِزُ بَعْضَ الْمَهَامِ ثُمَّ نُنْفِذُ خُطَّتَنَا وَنَذْهَبُ إِلَى تَكْسَاسِ . »

اسْتَمَرَّتِ الْمَحَادَثَةُ بِهَدْوٍ لِبَعْضِ الْوَقْتِ ، ثُمَّ اسْتَلْقَى جَوْ عَلَى الْأَرْضِ وَقَالَ : « سَأَنَامُ ، وَامْكُثْ أَنْتِ مُسْتَقِظًا لِتُرَاقِبَ الْمَكَانَ . »

رَاقِبَ الرَّجُلُ الْآخَرَ الْمَكَانَ لَوَقْتٍ قَصِيرٍ ، ثُمَّ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَفِي لَحْظَاتٍ اسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ أَيْضًا .

هَمَسَ تَوْمَ لِرِزْمِيلِهِ : « وَالْآنَ هِيَ ذِي فُرْصَتِنَا قَدْ حَانَتْ .. هَيَّا . »

بَدَأَ تَوْمَ يَتَحَرَّكُ فِي اتِّجَاهِ السَّلَالِمِ ، لَكِنْ هَا كِلِيرِي كَانَ خَائِفًا ،

فَلَمْ يَنْهَضْ مِنْ مَكَانِهِ ، بَلْ انْتَظَرَ . خَطَا تَوْمَ عَلَى أَرْضِيَّةِ الْحَجَرَةِ خُطْوَةً وَاحِدَةً ، فَأَحْدَثَتْ طَقْطَقَةً عَالِيَةً ، فَتَوَقَّفَ وَانْبَطَحَ عَلَى الْأَرْضِ . وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الْوَلَدَانِ ، وَكَانَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَنْتَظِرَا .

وَعِنْدَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ نَهَضَ جَوْ مِنْ نَوْمِهِ ، وَابْتَسَمَ عِنْدَمَا رَأَى حَارِسَهُ نَائِمًا ، وَابْقَظَهُ قَائِلًا : « إِنَّكَ حَارِسٌ مُمْتَنَزٍ . أَلَسْتَ كَذَلِكَ ؟ حَانَ الْوَقْتُ لِلذَّهَابِ . مَا الَّذِي سَنَفَعَلُهُ بِالْمَالِ ؟ لَا يُمْكِنُنَا حَمْلُ الدُّولَارَاتِ فِي كُلِّ مَكَانٍ . لَا بُدَّ أَنْ نُخْفِيهَا . »

وَنَزَعَ الرَّجُلَانِ صَخْرَةً وَرَاحَا يَدْفِنَانِ النُّقُودَ تَحْتَهَا . وَكَانَ الْوَلَدَانِ يَقُومَانِ بِبَعْضِ الْإِشَارَاتِ وَقَدْ لَمَعَتْ عَيُونُهُمَا . نُّقُودٌ ! وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَسْتَطِيعَا الْكَلَامَ لِأَنَّ الْوَضْعَ غَيْرُ آمِنٍ ، فَرَاقِبَا الرَّجُلَيْنِ فَقَطْ .

عِنْدَمَا كَانَ جَوْ يَخْفِرُ الْأَرْضَ ارْتَطَمَ سِكِّينُهُ بِشَيْءٍ ، فَصَاحَ :
« يَا لَهَا مِنْ مُفَاجَأَةٍ ! »

سَأَلَهُ رَفِيقُهُ : « مَا الْأَمْرُ ؟ »

رَدَّ جَوْ : « قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ ! لَا ! إِنَّهُ صُنْدُوقٌ . تَعَالَ هُنَا سَاعِدْنِي .. سَنَنْظُرُ فِيهِ . لَقَدْ أَحْدَثْتَ ثَقْبًا فِي الْخَشَبِ . »

وَضَعَ جَوْ يَدَهُ فِي الصُّنْدُوقِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا وَهَتَفَ : « نُّقُودٌ ! إِنَّهُ مَلَأَنَ بِالنُّقُودِ ! »

وَفَحَصَ الرَّجُلَانِ النُّقُودَ بِشَغَفٍ . كَانَتْ نَقُودًا ذَهَبِيَّةً ، مِمَّا أَثَارَ
الرَّجُلَيْنِ ، وَكَذَلِكَ تَوَمَّ وَهَّاكِلِيرِي .

قَالَ رَفِيقُ جُو : « يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ بِهَذَا الْكَنْزِ ! » ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى
رُكْنِ الْغُرْفَةِ . وَكَانَتْ أَدَوَاتُ تَوَمَّ وَهَّاكِلِيرِي هُنَاكَ ، فَتَنَاولَهَا وَعَادَ
بِهَا إِلَى جُو الَّذِي جَذَبَ الصُّنْدُوقَ مِنْ مَكَانِهِ وَأَخْرَجَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ
الصُّنْدُوقُ كَبِيرًا . وَفَحَصَ الرَّجُلَانِ كَنْزَهُمَا بِعُيُونٍ بَرَّاقَةٍ لَامِعَةٍ ،
وَتَرَكَا الْعُمَلَاتِ الذَّهَبِيَّةَ تَتَسَاقَطُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِمَا ، وَهُمَا فِي فَرَحٍ
وَبَهْجَةٍ وَسُرُورٍ .

قَالَ جُو : « إِنَّهَا أَلُوفٌ مِنَ الْجَنِيَّهَاتِ الذَّهَبِيَّةِ ! »

رَدَّ صَدِيقُهُ : « اعْتَادَ رِجَالُ مَوْرِيلِ الْحُضُورِ إِلَى هُنَا . »

قَالَ جُو : « نَعَمْ ، وَهُوَ كَنْزُهُمْ . »

قَالَ الْآخَرُ : « لَا حَاجَةَ لَكَ الْآنَ لِعَمَلِ الشَّيْءِ الْآخَرِ . أَقْصِدْ
تِلْكَ الْخُطَّةَ الْآخَرَى . »

رَدَّ جُو : « سَأَنْقُذُهَا . لَا بُدَّ أَنْ نَدْفِنَ هَذَا الْكَنْزَ مَرَّةً أُخْرَى .
(وَسَرُّ الْوَلَدَانِ لِذَلِكَ) ثُمَّ تَابَعَ جُو كَلَامَهُ قَائِلًا : « أَوَّلًا كِدْتُ
أَنْسَى ، لِمَاذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَدَوَاتُ هُنَاكَ فِي الرُّكْنِ ؟ (ارْتَعَبَ
الْوَلَدَانِ عِنْدَ سَمَاعِهِمَا الْعِبَارَةَ الْأَخِيرَةَ) مَنْ الَّذِي جَاءَ بِهَا إِلَى هَذَا

الْمَكَانَ ؟ لَا . لَنْ نَدْفِنَ النُّقُودَ مَرَّةً أُخْرَى . سَوْفَ يَعَثُرُ عَلَيْهَا شَخْصٌ
إِذَا دَفَّنَاهَا كَمَا كَانَتْ . سَأَخُذُهَا إِلَى مَحَبَّتِي . »

رَدَّ زَمِيلُهُ : « هَلْ تَقْصِدُ الْمَكَانَ رَقْمَ (وَاحِدٍ) . »

أَجَابَ جُو : « لَا .. أَقْصِدُ الْمَكَانَ الَّذِي رَقْمُهُ (ائْتَانِ) تَحْتَ
الْمِثْلِثِ . لَكِنْ لِمَنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتُ ؟ هَلْ أَحْضَرَهَا الْوَلَدَانِ ؟
(يَقْصِدُ تَوَمَّ وَهَّاكِلِيرِي) هَلْ هُمَا فِي أَعْلَى السُّلَّمِ ؟ »

بَدَأَ رَدَّ جُو يَرْتَقِي السُّلَّمِ ، وَدَقَّ قَلْبَا الْوَلَدَيْنِ دَقًّا عَنِيفًا ،
وَارْتَعَشَتِ أَرْجُلُهُمَا ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُمَا قَدَمَا رَدَّ جُو الثَّقِيلَتَانِ . وَفَجْأَةً
انْكَسَرَتِ الدَّرَجَةُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَسَقَطَ مِنْ فَوْقِ السُّلَّمِ إِلَى
الْأَرْضِ .

قَالَ زَمِيلُهُ : « مَا فَائِدَةُ ذَلِكَ ؟ هَلْ تُحَاوِلُ كَسْرَ عُنُقِكَ ؟ فَإِذَا
كَانَا فِي أَعْلَى السُّلَّمِ ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَظْلَا هُنَاكَ ، وَلَنْ يَعَثُرَا عَلَيْنَا فِي
الظَّلَامِ . »

وَأَفَقَّ جُو وَخَرَجَ الرَّجُلَانِ مِنَ الْمَبْنَى . وَلَكِنَّهُمَا أَخَذَا صُنْدُوقَ
النُّقُودِ مَعَهُمَا .

هَبَّطَ تَوَمَّ وَهَّاكِلِيرِي السُّلَّمِ إِلَى الْأَرْضِ .

قال توم : « يَجِبُ أَنْ تُرَاقِبَ رد جو. لَا بُدَّ أَنْ تَتَّبَعَ إِلَى الْمَكَانِ
> اثْنَانِ > . مَا هُوَ رَقْمُ > اثْنَانِ > يَا هَاكَ ؟ »

رَدَّ هَاكِيبِرِي : « لَسْتُ أَعْرِفُ . وَثَمَّةُ شَيْءٍ آخَرُ ، فَقَدْ قَالَ جُو
إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَ أَعْمَالًا مُعَيَّنَةً ؛ فَهَلْ تَتَذَكَّرُ ؟ كَمَا أَنَّ الْاِثْنَيْنِ
سَيَذْهَبَانِ إِلَى تَكْسَاسَ ، فَمَا هِيَ خَطَّتُهُ يَا توم ؟ مَا الَّذِي يُرِيدُ أَنْ
يَفْعَلَهُ ؟ هَلْ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَنَا ؟ »

الفصل الحادي والعشرون الرَّقْمُ اثْنَانِ

عَكَرَتْ مُغَامَرَاتُ الْيَوْمِ أَحْلَامَ توم فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . رَأَى فِيهَا
يَرَى النَّائِمُ أَنَّهُ فِي الْبَيْتِ الْمَسْكُونِ بِالشُّبَّاحِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَأَنَّهُ كَادَ
يَحْصُلُ عَلَى الْكَنْزِ بَعْدَ أَرْبَعِ مُحَاوَلَاتٍ . وَاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ أَرْبَعَ
مَرَّاتٍ دُونَ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ .

بَعْدَ تَنَاوُلِ طَعَامِ الْفُطُورِ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ لِيَسْحَتَ عَنْ هَاكِيبِرِي .
وَكَانَ هَاكِيبِرِي غَاضِبًا لِفَقْدِهِ الْأَدَوَاتِ .

قَالَ : « فَقَدْنَا النُّقُودَ لِأَنَّنَا تَرَكْنَا عُدَدَنَا هُنَاكَ . لَمْ نَكُنْ أَذْكِيَاءَ .
هَلْ كُنَّا أَذْكِيَاءَ ؟ »

رَدَّ توم : « لَا بُدَّ أَنْ تُتَابَعَ رد جو لِنَحْصُلَ عَلَى النُّقُودِ . »

« وَلَكِنَّنَا لَنْ نَجِدَهُ ، يَا توم . كُنْتُ أَفَكِّرُ فِي رَقْمِ > اثْنَانِ > »

وَلَا أَسْتَطِيعُ فَهَمَ الْمَقْصُودِ بِهَذَا الرَّقْمِ ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْتَ ؟ مَا رَقْمُ
(اثنان ، ؟)

أَجَابَ توم : « لَا أَدْرِي . رُبَّمَا يَكُونُ رَقْمُ بَيْتِ » .

قَالَ هَاكِلِيرِي : « لَا ، لَيْسَ عَلَى الْبُيُوتِ هُنَا أَرْقَامٌ » .

قَالَ توم : « رُبَّمَا يَكُونُ رَقْمُ غُرْفَةٍ . رُبَّمَا يَكُونُ غُرْفَةٌ فِي
فُنْدُقٍ » .

قَالَ هَاكِلِيرِي : « رُبَّمَا يَكُونُ كَمَا تَقُولُ . . نَعَمْ . لِلْغُرْفِ
أَرْقَامٌ . وَلَكِنْ هُنَاكَ فُنْدُقَانِ فَقَطْ فِي الْمَدِينَةِ . هَلْ نَذْهَبُ لِنَلْقِيَ
نَظْرَةً عَلَيْهِمَا ؟ »

قَالَ توم : « انْتَظِرْ هُنَا ، يَا هَاك . سَأَذْهَبُ وَأَعُودُ حَالًا » .

خَرَجَ توم وَغَابَ لِمُدَّةٍ نِصْفِ سَاعَةٍ . وَفِي أَحْسَنِ فُنْدُقٍ كَانَ
شَابٌ يَشْغُلُ الْحِجْرَةَ رَقْمُ (اثنان ،) ، وَكَانَ قَدْ شَغَلَهَا لَوَقْتٍ طَوِيلٍ .
وَلَكِنْ فِي الْفُنْدُقِ الْآخَرِ كَانَتِ الْغُرْفَةُ رَقْمُ (اثنان ،) غُرْفَةً غَرِيبَةً ؛
فَلَمْ يَبْدُ أَنْ أَحَدًا دَخَلَهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَلَمْ يَظْهَرْ أَنَّ أَحَدًا خَرَجَ
مِنْهَا أَبَدًا إِلَّا فِي اللَّيْلِ . كَانَ فِي الْفُنْدُقِ صَبِيٌّ قَالَ لِتوم كُلُّ شَيْءٍ
عَنِ الْغُرْفَةِ ، وَكَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَسْكُونَةٌ بِالْأَشْبَاحِ .

وَشَرَحَ توم مَا اكْتَشَفَهُ لَهَا كِلِيرِي فَقَالَ : « إِنَّ الْبَابَ الْخَلْفِيَّ

لِلْغُرْفَةِ يُطْلُ عَلَى شَارِعٍ صَغِيرٍ . وَلَا بُدَّ أَنْ نَدْخُلَ الْغُرْفَةَ . وَعَلَيْكَ
إِحْضَارُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمِفَاتِيحِ الْقَدِيمَةِ وَسَاحِضِرُ أَنَا بَعْضَهَا ؛ فَخَالَتِي
لَدَيْهَا بَعْضُ الْمِفَاتِيحِ فِي الْمَنْزِلِ . وَسَنَجَرِبُهَا فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ .
رُبَّمَا تَكُونُ غُرْفَةٌ رَدِّ جَوْ . لَقَدْ قَالَ إِنَّهُ أَرَادَ الذَّهَابَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا
رَأَيْتَهُ ، يَا هَاك ، فَاتَّبِعْهُ »

رَاقِبًا الشَّارِعَ الصَّغِيرَ الْقَرِيبَ مِنَ الْفُنْدُقِ ، وَلَمْ يَشَاهِدْ شَيْئًا
حَتَّى يَوْمِ الْخَمِيسِ ؛ فَقَبِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَحْضَرَا مِصْبَاحًا مَعَهُمَا . وَانْتَظَرَ
هَاكِلِيرِي وَحْدَهُ فِي الظَّلَامِ ، وَذَهَبَ توم إِلَى الْبَابِ ، وَبَقِيَ
هَاكِلِيرِي مُنْتَظِرًا فِي قَلْقٍ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ . وَفَجَأَةً جَرَى توم مِنْ أَمَامِهِ
وَهُوَ يَصِيحُ : « اجْرُ .. اجْرُ » . وَجَرَى الْاِثْنَانِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى مَبْنَى
قَدِيمٍ فِي أَطْرَافِ الْقَرْيَةِ .

هَمَسَ توم لِصَدِيقِهِ : « كَانَ الْأَمْرُ مُرْعِبًا ، يَا هَاك ؛ فَقَدْ أُحْدِثَتْ
الْمِفَاتِيحُ صَوْتًا عَالِيًا فِي الْقُفْلِ ، وَاعْتَرَانِي خَوْفٌ . وَلَمْ يَصْلُحْ أَيُّ
مِفْتَاحٍ لِفَتْحِ الْقُفْلِ . وَلَكِنِّي لَاحِظْتُ شَيْئًا ؛ فَقَدْ انْفَتَحَ الْبَابُ مِنْ
غَيْرِ مِفْتَاحٍ ، قَدْخَلْتُ الْغُرْفَةَ وَ... »

« اسْتَمِرْ ، يَا توم ! مَا الَّذِي رَأَيْتَهُ ؟ »

« كِدْتُ ، يَا هَاك ، أَقِفُ عَلَى يَدِ رَدِّ جَوْ ! »

«نَعَمْ! كَانَ مُنْبَطِحًا عَلَى الْأَرْضِ غَارِقًا فِي النَّوْمِ، وَذِرَاعَاهُ مَفْتُوحَتَانِ عَنْ آخِرِهِمَا عَلَى الْأَرْضِ. وَرَأَيْتُ كَأْسًا هُنَاكَ وَكَمِيَّةً كَبِيرَةً مِنَ الزُّجَاجَاتِ.

سَأَلَهُ هَاكِلْبِرِي: «إِذَا كَانَ رَدُّ جَوْ نَائِمًا الْآنَ، فَإِنَّهُ يُمَكِّنُنَا الْحُصُولَ عَلَى الصُّنْدُوقِ.»

رَدَّ توم: «إِذَا أَرَدْتَ الْحُصُولَ عَلَيْهِ، فَادْهَبْ بِنَفْسِكَ. لَا أُرِيدُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ مَرَّةً أُخْرَى.»

قَالَ هَاكِلْبِرِي: «أَفْتَرَضُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ.» وَبَدَأَ عَلَيْهِ الْقَلْقُ الشَّدِيدُ.

وَأَضَافَ توم: «لَا يُمَكِّنُنَا عَمَلُ شَيْءٍ عِنْدَمَا يَكُونُ جَوْ هُنَاكَ. وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنَّهُ يَخْرُجُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَعِنْدَمَا يَخْرُجُ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَسْتَوْلِيَ عَلَى الصُّنْدُوقِ.»

قَالَ هَاكِلْبِرِي: «سَأُرَاقِبُ الْبَابَ وَالشَّارِعَ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْتَ أَنْ تَأْتِيَ بِالصُّنْدُوقِ.»

أَجَابَ توم: «نَعَمْ، سَأَفْعَلُ ذَلِكَ. رَاقِبِ الْبَابَ كُلَّ لَيْلَةٍ، وَإِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيَّ فَتَعَالَ إِلَى بَيْتِ خَالَتِي. قَلْدُ صَوْتِ الْقِطِّ خَارِجَ الْبَيْتِ وَسَأَسْمَعُكَ، وَسَأَتِي عَلَى الْفُورِ.»

الفصل الثاني والعشرون

هاكلبيري فَن يَقُومُ بِوَاجِبِهِ

عَادَتْ بِكِي تَاشِرُ مِنْ إِجَازَتِهَا، وَكَادَ توم يَنْسَى رَدَّ جَوْ. وَكَانَ هُوَ وَبِكِي يَلْعَبَانِ أَلْعَابًا كَثِيرَةً مَعًا. وَحَدَّدَتْ أُمُّهَا يَوْمَ النَّزْهَةِ فِي الْخَلَاءِ، وَوَافَقَ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهَا.

لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ آيَةٌ إِشَارَةٌ مِنْ هَاكِلْبِرِي فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَلَكِنْ توم لَمْ يَنْمَ جَيِّدًا. وَفِي الصُّبْحِ تَجَمَّعَ الْفَتَيَانُ عِنْدَ مَنْزِلِ بِكِي. وَكَانَ الصِّغَارُ مِنْهُمْ فَقَطُّ هُمُ الَّذِينَ سَيَذْهَبُونَ إِلَى النَّزْهَةِ.

قَالَتِ السَّيِّدَةُ تَاشِرُ: «إِنَّهُ طَرِيقٌ طَوِيلٌ، يَا بِكِي. ابْقِي عِنْدَ إِحْدَى صَدِيقَاتِكَ وَبِمُكْنِكَ الْعُودَةَ عَدَا، وَبِذَلِكَ لَنْ تَتْعَبِي.»

قَالَتْ بِكِي: «سَأَمْكُثُ مَعَ سوزان هَارِيرَ.»

وَسَارَ الْجَمِيعُ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ فِي اتِّجَاهِ قَارِبٍ، وَسَارَ توم مَعَ

قال لها توم : « لا تمكثي في بيت سوزان هاربر . سندهب معاً إلى منزل السيدة دوجلاس ، فهي رقيقة دائماً وتحننا . »

فكرت بكي لحظة ثم قالت : « ولكن ما الذي ستقوله أمي ؟ »

قال توم : « كيف لها أن تعرف ؟ »

ولم يعجب ذلك بكي ، لكن توم أقنعها . و وافقت على أن تصعد معه التل إلى بيت السيدة دوجلاس .

وتذكر توم صديقه هاكلييري ، وقال في نفسه : « إن هاك ربما يعطي الإشارة الليلة ، وعليه لا بد أن أعود إليه . » لكن توم أراد أن يبقى مع بكي ، وقرر أن يفعل ذلك .

حملهم القارب إلى مسافة في النهر . وعندما وصلوا إلى الغابة ترك جميعهم القارب ، وساروا بين الأشجار وفوق التلال . وكانوا جميعاً يحسّون بالحرّ وشعروا بالتعب بعد وقت . ثم اجتمعوا مرة أخرى لتناول الطعام وأكلوا كثيراً منه .

بعد ذلك ذهبوا إلى الكهف العظيم . وكان مدخله عالياً على جانب التل . وكان بارداً ومظلماً في الداخل . وسار الأولاد على طول ممر عريض ، وكانت ثمة ممرات أخرى على الجانبين .

وكان بعض الأولاد يعرفون بعض هذه الممرات ، ولكن لم يكن أحد في العالم يعرفها كلها لكثرتها ، وكان توم نفسه يعرف منها ما يعرفه غيره .

وانقسم الأولاد إلى مجموعات داخل الكهف ، وراحوا يتوغلون فيه . ودخلوا كهوفاً أصغر على الجوانب ، وأمضوا وقتاً طويلاً فيها . كان القارب في انتظارهم عندما حل الليل .

عندما وصل القارب إلى القرية ، كان هاكلييري يراقب الباب . وفي الساعة الحادية عشرة أطفأ أحد الأشخاص الأنوار في الفندق . ولكن لم يحدث شيء ، وكان هاكلييري في حاجة إلى نوم عميق .

وفجأة سمع هاكلييري شيئاً ، فقد أغلق الباب بخفة ، فاختبأ هو في الحال . ثم مر به رجلان ، وكان أحدهما يحمل صندوقاً . لقد كانا يأخذان الكنز إلى مكان بعيد . ولم يكن في حاجة إلى استدعاء توم ، بل كان عليه أن يتبع الرجلين ، وألا يفقد الصندوق .

وسار الرجلان على طول ضفة النهر ، ثم استدارا نحو ممر ضيق . وقادهما هذا الممر إلى تل كارديف ، ومراً بمنزل . وكان يعيش في هذا المنزل رجل من ويلز يدعى السيد جونز ، لكنهما

لَمْ يَتَوَقَّفا عِنْدَ مَنْزِلِهِ ، وَتَسَلَّقَا التَّلَّ وَهَا كِلِيرِي يَتَّبَعُهُمَا .

كَانَتِ اللَّيْلَةُ شَدِيدَةَ الظَّلَامِ ، وَقَفَدَ هَا كِلِيرِي الرَّجُلَيْنِ ، وَلَمْ يَعُدَّ يَرَاهُمَا فِي أَيِّ مَكَانٍ . وَوَقَفَ لِيَنْصِتَ . وَفَجْأَةً سَعَلَ رَجُلٌ سَعْلَةً خَفِيفَةً عَلَى بُعْدٍ مِثْرَيْنِ تَقْرِيْبًا مِنْهُ . وَكَانَتْ هَذِهِ مُفَاجِئَةً مُرْعِبَةً لَهَا كِلِيرِي . لَكِنَّهُ لَمْ يُصْدِرْ صَوْتًا أَوْ صَرْخَةً . وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَرَفَ الْمَكَانَ ، فَقَدَ كَانَا قَرِيبَيْنِ مِنْ بَيْتِ السَّيِّدَةِ دُوْجَلَسَ .

سَمِعَ هَا كِلِيرِي صَوْتَ جَوِ الْغَاضِبِ : « إِنَّ شَخْصًا مَعَهَا ، فَهُنَاكَ أَنْوَارُ فِي الْمَنْزِلِ . »

رَدَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ الْآخَرُ : « نَعَمْ ، هُنَاكَ شَخْصٌ . لَا يُمَكِّنُكَ عَمَلُ شَيْءٍ اللَّيْلَةَ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَتْرَكَهَا . اِنْسَ الْمَوْضُوعَ ! »

صَاحَ جَوُ : « أَنْسَاهُ ! لَنْ أَنْسَاهُ . لَنْ أُحْصَلَ عَلَى فُرْصَةٍ مِثْلِ هَذِهِ مَرَّةٍ أُخْرَى . أَنَا لَا أُرِيدُ مَالَهَا ، لَكِنْ زَوْجَهَا هُوَ الَّذِي أَدْخَلَنِي السَّجْنَ . نَعَمْ ، دُوْجَلَسَ أَدْخَلَنِي السَّجْنَ ! لَمْ أَنْسَ مُطْلَقًا . أَرَدْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ ، لَكِنَّهُ مَاتَ . مَاتَ بِسُرْعَةٍ ، وَلَكِنْ الْفُرْصَةُ أَمَامِي الْآنَ . سَأَسُوِّهُ جَمَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ . سَأَمَزُقُ وَجْهَهَا . سَأَقْطَعُ أُذُنَيْهَا أَيْضًا . وَسَتُسَاعِدُنِي أَنْتَ . وَسَأَقْتُلُكَ أَنْتَ أَيْضًا إِنْ لَمْ تُسَاعِدْنِي . »

رَدَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ : « إِذَا أَرَدْتَ مُهَاجِمَةً تِلْكَ الْمَرْأَةَ ، فَهَاجِمُهَا



بِسْرَعَةٍ . مَا الَّذِي تَنْتَظِرُهُ ؟

قَالَ رَدْ جَوْ : « لَا نَسْتَطِيعُ مُهَاجَمَتَهَا الْآنَ . سَتَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَمَا تَنْطَفِئُ الْأَنْوَارُ . »

أَعْقَبَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمُرْعِبَةِ سُكُونٌ طَوِيلٌ . وَتَحَرَّكَ هَاكِلِيرِي بِطُءٍ مُبْتَعِدًا . وَتَهَشَّعَتْ قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ تَحْتَ قَدَمِهِ . وَكَادَ قَلْبُهُ يَتَوَقَّفُ ، لَكِنْ لَمْ تَصْدُرْ مِنَ الرَّجُلَيْنِ أَيْةٌ حَرَكَةٍ . وَاسْتَمَرَّ هَاكِلِيرِي فِي سَيْرِهِ بِطُءٍ وَبِهْدُوءٍ . وَبَعْدَ أَنْ قَطَعَ مَسَافَةً كَبِيرَةً رَاحَ يَجْرِي . وَهَبَطَ التَّلَّ إِلَى مَنَزِلِ السَّيِّدِ جُونَزَ ، وَطَرَقَ الْبَابَ فَفَتَحَتْهُ جُونَزُ .

سَأَلَ الرَّجُلُ الطَّارِقَ : « مَا الْأَمْرُ ؟ » وَوَقَفَ ابْنَاهُ الْكَبِيرَانِ بِجَوَارِهِ .

رَدَّ عَلَيْهِ الطَّارِقُ : « أَنَا هَاكِلِيرِي فِنْ . دَعْنِي أَدْخُلُ . أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ شَيْئًا . إِنَّهُ أَمْرٌ هَامٌّ . »

قَالَ الرَّجُلُ : « أَنَا لَا أَحِبُّ هَذَا الْأَسْمَ . هَاكِلِيرِي فِنْ ! لَا ! لَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَدْعَهُ يَدْخُلُ ، يَا أَوْلَادُ . إِنَّهُ قَلِقٌ مِنْ شَيْءٍ . »

وَبَعْدَ ثَلَاثِ دَقَائِقَ كَانَ الرَّجُلُ الْوَيْلِزِي وَابْنَاهُ يَتَسَلَّقُونَ التَّلَّ . وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحْمِلُ بَنْدُوقَةً . وَلَمْ يَذْهَبْ هَاكِلِيرِي مَعَهُمْ . بَلْ اخْتَبَأَ وَرَاءَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ وَانْتَظَرَ . وَفَجْأَةً أَطْلَقَ شَخْصٌ

هُنَاكَ بَنْدُوقَةً ، وَسَمِعَ هَاكِلِيرِي صَرْخَةً ، وَلَمْ يَرَفَّهُ مَا حَدَثَ . وَلَمْ يَنْتَظِرْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَسْرَعَ يَعْدُو هَابِطًا التَّلَّ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ كَانَ قَدْ ابْتَعَدَ كَثِيرًا .

نَلْحَقُ بِهِمَا مُطْلَقًا . وَفَقَدْنَاهُمَا تَمَامًا ؛ فَذَهَبْنَا إِلَى الْقَرْيَةِ ، وَجَمَعْنَا
بَعْضَ الرِّجَالِ لِلْبَحْثِ عَنْهُمَا فِي الْغَايَةِ الْيَوْمِ . هَلْ يُمَكِّنُكَ وَصْفُ
هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ؟

أَجَابَ هَاكِلِيرِي : « بِالطَّبَعِ أُسْتَطِيعُ . أَحَدُهُمَا هُوَ الْإِسْبَانِيُّ .
أَنْتَ تَتَذَكَّرُهُ . وَالثَّانِي رَجُلٌ فَقِيرٌ ، مَلَابِسُهُ مُمَرَّقَةٌ وَرَثَّةٌ . »

قَالَ السَّيِّدُ جُونز : « هَذَا يَكْفِي ، يَا هَاكِلِيرِي . نَحْنُ نَعْرِفُ
هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ . لِمَاذَا تَبِعْتَهُمَا ؟ »

أَجَابَ هَاكِلِيرِي : « لَمْ أُسْتَطِعِ النَّوْمَ ؛ فَخَرَجْتُ لِأَسِيرَ بَعْضَ
الْوَقْتِ ، فَلَمَحْتُهُمَا وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَحْمِلُ شَيْئًا تَحْتَ ذِرَاعِهِ فَظَنَنْتُ
أَنَّهُمَا سَرَقَا شَيْئًا . وَتَبِعْتُهُمَا ، فَصَعِدَا التِّلَّ إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدِ
دُوْجَلاس . وَقَالَ الْإِسْبَانِيُّ إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُمَزَّقَ وَجْهَهَا . »

قَالَ السَّيِّدُ جُونز : « لَكِنَّ الْإِسْبَانِيَّ لَا يَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ ، وَأَنْتَ
تَعْرِفُ ذَلِكَ . »

لَقَدْ اقْتَرَفَ هَاكِلِيرِي خَطَأً ! لَمْ يَرْعَبْ فِي أَنْ يَقُولَ لَأَيِّ شَخْصٍ
عَنْ رَدِ جُو ، لَكِنَّ الرُّجُلَ الْوِيلَازِيَّ كَانَ يُرَاقِبُهُ بِدِقَّةٍ .

قَالَ لَهُ : « لَا تَخَفْ مِنِّي . لَنْ أَضُرَّكَ ، فَهَذَا الْإِسْبَانِيُّ يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَتَكَلَّمَ . أَوْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ ؟ لَكِنَّكَ لَا تُرِيدُ أَنْ تُخْبِرَنِي

الفصل الثالث والعشرون

بَدْءُ الْبَحْثِ

عَادَ هَاكِلِيرِي إِلَى بَيْتِ السَّيِّدِ جُونزِ يَوْمَ الْأَحَدِ صَبَاحًا ،
فَاسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ مُرَحَّبًا : « تَفَضَّلْ ، تَفَضَّلْ بِالدُّخُولِ . هَاكِلِيرِي
فِنْ ! اسْمُ جَمِيلٌ ، وَسُورَحُبُّ بِكَ دَائِمًا هُنَا ، يَا بُنَيَّ . »

عِنْدَمَا دَخَلَ هَاكِلِيرِي الْبَيْتَ قَدَّمُوا لَهُ طَعَامَ فُطُورٍ شَهِيٍّ . وَسَأَلَ
صَاحِبَ الْبَيْتِ : « مَاذَا حَدَّثَ هُنَاكَ فِي أَعْلَى التِّلِّ ؟ »

رَدَّ عَلَيْهِ السَّيِّدُ جُونز : « إِنَّ وَجْهَكَ شَاحِبٌ جِدًّا . هَلْ أَنْتَ
مُتَعَبٌ ؟ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِي الْفِرَاشِ . إِنَّا لَمْ نَقْتُلْهُمَا ،
يَا هَاكِلِيرِي . عَثَرْنَا عَلَى الْمَكَانِ ، وَلَكِنَّا لَمْ نَكُنْ مَحْظُوظِينَ ؛ فَقَدْ
سَمِعْنَا الرُّجُلَانِ ، وَأَطْلَقْنَا عَلَيْهِمَا الرِّصَاصَ ، لَكِنَّهُمَا هَرَبَا . وَعِنْدَمَا
تَبِعْنَاهُمَا أَطْلَقْنَا عَلَيْنَا الرِّصَاصَ ، فَوَاصَلْنَا مُطَارَدَتَهُمَا ، وَلَكِنَّا لَمْ

بِذَلِكَ . لَا يُهِمُّ . وَمَا الَّذِي تَعْرِفُهُ أَيْضًا مِنْ أَشْيَاءَ أُخْرَى ؟

نَظَرَ هَاكِلِيرِي إِلَى عَيْنَيِ الرَّجُلِ الصَّادِقَتَيْنِ لِلْحُظَّةِ ، ثُمَّ قَرَّرَ أَنْ يَتَكَلَّمَ .

قَالَ : « هَذَا الرَّجُلُ هُوَ رَدِ جَو . »

وَمَا إِنَّ قَالَ ذَلِكَ حَتَّى كَادَ الرَّجُلُ الْوِيلَازِي يَقْفِزُ مِنْ مَقْعَدِهِ ،
ثُمَّ قَالَ « آه .. بَدَأْتُ أَفْهَمُ . »

جَاءَتِ السَّيِّدَةُ دَوِجَلَسُ إِلَى الْمَنْزِلِ بَعْدَ ذَلِكَ بِوَقْتٍ قَصِيرٍ .

وَشَرَحَ لَهَا السَّيِّدُ جُونَزُ أَحْدَاثَ اللَّيْلَةِ وَفَاجَأَتَهَا الْقِصَّةُ . وَشَكَرَتْهُ
هُوَ وَلَدَيْهِ ، وَقَالَتْ : « لَقَدْ سَاعَدَتْنِي كَثِيرًا . سَاعَتِيرُ الْقِصَّةِ سِرًّا
وَكَاثَنِي لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا . »

وَلَمْ يَذْكُرِ السَّيِّدُ جُونَزُ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ الدَّوْرِ الَّذِي قَامَ بِهِ
هَاكِلِيرِي فِي هَذِهِ الْأَحْدَاثِ ، لِأَنَّ هَاكِلِيرِي أَرَادَ أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا
عَنْهَا ، وَقَدْ أَخْبَرَ السَّيِّدَ جُونَزُ بِرَغْبَتِهِ ، فَوَافَقَهُ الرَّجُلُ .

وَفِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ التَّقَتِ السَّيِّدَةُ ثَانِشَ السَّيِّدَةِ هَارِيرَ وَسَأَلَتْهَا :
« هَلْ يَكِي لَا تَرَالُ نَائِمَةً ؟ » فَقَدْ ظَنَّتِ السَّيِّدَةُ ثَانِشَ أَنْ يَكِي
ذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِ السَّيِّدَةِ هَارِيرَ .

أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ هَارِيرَ مُتَعَجِّبَةً : « يَكِي ؟ »

« نَعَمْ ! أَلَمْ تَقْضِ لَيْلَةً أَمْسَ مَعَكَ ؟ »

أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ هَارِيرَ : « لَا .. لَمْ أَرَهَا . »

وَذَهَلَتِ السَّيِّدَةُ ثَانِشَ ، وَامْتَقَعَ وَجْهَهَا . وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ
أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمَا الْخَالَةُ بُولِي ، وَأَخْبَرَتْهُمَا بِأَنَّ تَوْمَ قَدْ هَرَبَ مِنَ
الْمَنْزِلِ ، ثُمَّ سَأَلَتْ : « هَلْ مَكَثَ فِي بَيْتِكَ ، يَا سَيِّدَةَ هَارِيرَ ؟ »

أَجَابَتْهَا : « لَمْ يَحْضُرْ إِلَيْنَا . »

وَوَجَّهَتِ الْخَالَةُ بُولِي سُؤَالَهَا إِلَى جَوِ هَارِيرَ : « هَلْ رَأَيْتَ
تَوْمَ ، يَا جَو ؟ »

أَجَابَهَا جَوُ : « لَا ، لَمْ أَرَهُ . »

سَأَلَتْهُ : « مَتَى رَأَيْتَهُ آخِرَ مَرَّةٍ ؟ »

لَمْ يَسْتَطِعْ جَوُ أَنْ يَتَذَكَّرَ . وَلَمْ يَرِ أَحَدٌ تَوْمَ أَوْ يَكِي ، بَلْ لَمْ
يَرَهُمَا أَحَدٌ فِي الْقَارِبِ .

قَالَ أَحَدُ الْأَوْلَادِ : « رُبَّمَا لَا يَزَالَانِ فِي الْكَهْفِ . »

كَانَتِ السَّيِّدَةُ ثَانِشَ قَلِقَةً جِدًّا ، وَبَكَتِ الْخَالَةُ بُولِي . وَخَافَ
جَمِيعُ النَّاسِ فِي الْقَرْيَةِ . وَنَسِيَ النَّاسُ الْقِتَالَ الَّذِي دَارَ فِي تَلٍّ

كَارْدِيف . وَأَخْرَجَ الرُّجَالُ جِيَادَهُمْ وَأَعَدَّ الرُّبَانُ قَارِبَهُ . وَذَهَبَ
القَاضِي نَاشِرَ مَعَ رِجَالِ آخَرِينَ ، وَكَانَ الْقَاضِي وَالِدَ بَكِي .

كَانَ نَحْوُ مِئَتِي رَجُلٍ عَلَى الطَّرِيقِ وَفَوْقَ مَتْنِ الْقَارِبِ فِي النَّهْرِ .
وَأَمْتَطَى الْقَاضِي حِصَانَهُ وَأَنْطَلَقَ مُنْدَفِعًا بِهِ مُتَقَدِّمًا الرُّجَالِ عَلَى
الطَّرِيقِ الْمُوْدِّي إِلَى الْكَهْفِ .

وَكَانَتِ الْقَرْيَةُ خَالِيَةً تَمَامًا عِنْدَمَا ذَهَبَ الرُّجَالُ يَبْحَثُونَ عَنْ
بَكِي . وَأَنْتَظَرَتِ النِّسَاءُ طَوَالَ اللَّيْلِ ، لَكِنْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ .

وَفِي الصَّبَاحِ وَصَلَتْ رِسَالَةٌ تَقُولُ : « أَرْسَلُوا شَمْعًا أَكْثَرَ وَأَرْسَلُوا
طَعَامًا » . وَكَادَتِ الْوَلَدَةُ بَكِي تَمُوتُ مِنَ الْخَوْفِ ، لَكِنْ الْقَاضِي
زَوَّجَهَا لَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهَا رِسَالَةً خَاصَّةً . وَكَانَ عَلَيْهَا فَقَطُ أَنْ تَنْتَظِرَ .

وَعَادَتِ السَّيِّدَةُ دُجْلَاسَ إِلَى بَيْتِ الرَّجُلِ الْوَيْلِزِيِّ السَّيِّدِ جُونَزِ
فَوَجَدَتْ هَاكِيلِيرِي مَرِيضًا فِي الْفِرَاشِ . وَكَانَ الْأَطِبَاءُ فِي الْكَهْفِ ،
فَجَلَسَتْ بِجِوَارِ فِرَاشِ هَاكِيلِيرِي تَنْتَظِرُ الْأَخْبَارَ . وَلَمْ تَقُلْ أَيُّ شَيْءٍ
عَنْ تَوْمِ وَبَكِي .

وَفِي الصَّبَاحِ عَادَ بَعْضُ الرُّجَالِ مِنَ الْكَهْفِ ، وَقَالُوا إِنَّهُ لَمْ
يَعْثُرْ عَلَى تَوْمِ وَبَكِي بَعْدُ . وَقَالُوا أَيْضًا : « إِنَّ الرُّجَالَ الْآخَرِينَ
يَبْحَثُونَ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنَ الْكَهْفِ . لَكِنَّهُ كَهْفٌ كَبِيرٌ جِدًّا ، وَعَثَرْنَا

عَلَى اسْمَيْنِ فَوْقَ الصُّخُورِ : تَوْمِ وَبَكِي . وَقَدْ كَتَبْنَا اسْمَيْهِمَا بِدُخَانِ
شَمْعَتَيْهِمَا . وَلَكِنْ الْأَسْمَيْنِ لَمْ يَكُونَا بِالْقُرْبِ مِنْ مَدْخَلِ
الْكَهْفِ » .

وَمَرَّتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلَيَالٍ مُرْعَبَةٍ يَبْطِئُ . وَلَمْ يَشَأْ أَيُّ شَخْصٍ فِي
الْقَرْيَةِ أَنْ يُودِيَ أَيُّ عَمَلٍ . وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ دُجْلَاسَ لَا تَزَالُ تَتَرَقَّبُ
الْأَخْبَارَ وَهِيَ بِجِوَارِ فِرَاشِ هَاكِيلِيرِي . وَكَانَ الرُّجَالُ فِي الْكَهْفِ
لَا يَزَالُونَ يَبْحَثُونَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَعْثُرْ أَيُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى تَوْمِ وَبَكِي .

وَطَارَ خَفَاشٌ إِلَى شَمْعَةٍ بِكِي وَأَطْفَأَهَا . وَقَادَ توم بِقَلْقٍ بِكِي إِلَى
بَعِيدٍ عَلَى طُولِ مَمَرٍ آخَرَ ، وَلَكِنَّ الْخَفَافِيشَ تَبِعَتْهُمَا ، فَهَرَبَا إِلَى
مَمَرٍ آخَرَ ، ثُمَّ إِلَى آخَرَ فَتَرَكْتُهُمَا الْخَفَافِيشُ . لَكِنَّهَا كَانَتْ تَجَرِبَةً
مُزَعِجَةً لَهُمَا . وَشَعَرَا بِالسُّكُونِ الْعَمِيقِ الَّذِي يَمَلَأُ الْمَكَانَ .

قَالَتْ بِكِي : « لَمْ نَسْمَعْ الْآخَرِينَ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ . »

قَالَ توم : « نَحْنُ تَحْتَهُمْ ، يَا بِكِي . »

قَالَتْ : « يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعُودَ . هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَ الطَّرِيقَ ، يَا
توم ؟ » فَقَدْ كَانَتْ خَائِفَةً مِنَ السُّكُونِ .

قَالَ : « نَعَمْ ، أَظُنُّ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ هُنَاكَ تِلْكَ الْخَفَافِيشُ . فَمَا
الَّذِي نَفَعْلُهُ إِذَا أَطْفَأَتْ شَمْعَتَيْنَا ؟ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعُودَ عَنْ طَرِيقِ
مَمَرٍ آخَرَ . »

وَحَاوَلَ الاثْنَانِ ، وَسَارَا مَسَافَةً طَوِيلَةً فِي السُّكُونِ . وَنَظَرَ توم فِي
كُلِّ مَمَرٍ جَدِيدٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلَى أَيِّ مِنْهَا ؛ فَتَكَلَّمَ بِمَرَحٍ
لِكَيْ يُعْطِيَ بِكِي قَدْرًا مِنَ الشَّجَاعَةِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِيقَةِ
الْأَمْرِ سَعِيدًا . لَقَدْ ضَلَّ طَرِيقَ الْعُودَةِ ، وَكَانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ . وَبَعْدَ
قَلِيلٍ تَحَوَّلَ إِلَى أَيِّ مَمَرٍ ، وَلَمْ يَتَّبِعْ أَيَّ خُطَّةٍ .

فَهَمَّتْ بِكِي الْمَوْقِفَ وَقَالَتْ : « أَلَا نَسْتَطِيعُ الْعُودَةَ مِنْ نَفْسِ

الفصل الرابع والعشرون

في الكهف المظلم

تَجَوَّلَ توم وبكي لِمَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ مَعًا خِلَالَ الْكَهْفِ ، وَرَاحَا
يَتَحَدَّثَانِ طَوَالَ الْوَقْتِ . وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمَا يَحْمِلُ شَمْعَةً . وَكَتَبَا
أَسْمِيَهُمَا عَلَى الصُّخُورِ بِدُخَانِ الشَّمْعَتَيْنِ .

وَوَجَدَا مَجْرَى مِنَ الْمَاءِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ . وَلَاحَظَ توم وُجُودَ مَمَرٍ
خَلْفَ الْمَجْرَى الْمَائِيِّ ، فَسَارَا عَلَى طُولِ ذَلِكَ الْمَمَرِ لِمَسَافَةٍ
فَقَادَهُمَا الْمَمَرُ إِلَى أَسْفَلٍ ، وَبَعْدَ وَقْتٍ أَصْبَحَا عَلَى عُمُقٍ فِي دَاخِلِ
الْكَهْفِ . وَعَمِلَ توم عَلَامَاتٍ بِدُخَانِ الشَّمْعَةِ فِي أَمَاكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ
وَقَالَ : « هَذِهِ الْعَلَامَاتُ سَتُسَاعِدُنَا عَلَى مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الْعُودَةِ . »

وَوَصَلَا إِلَى جُزْءٍ آخَرَ مِنَ الْكَهْفِ . وَكَانَ هَذَا الْجُزْءُ مَلِئًا
بِالْخَفَافِيشِ ، وَلَمْ يُعْجِبِ الْخَفَافِيشَ الضُّوءُ الْمُنْبَعِثُ مِنَ الشَّمْعَتَيْنِ .

الطريق ، يا نوم ؟ » ثُمَّ سَأَلَتْهُ بِقَلَقٍ : « هَلْ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَجْرِيَ وَنَعْبُرَ
مَكَانَ الْخَفَافِيشِ ؟ »

وَتَوَقَّفَ نَوْمٌ لِيَنْصِتَ . لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتُ فِي الْكَهْفِ . صَاحَ
بِأَعْلَى صَوْتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ رَدٌّ عَلَى صِيَاحِهِ . وَأَخَافَ الصِّيَاحُ
بِكِي وَأَزْعَجَهَا .

صَرَخَتْ بِكِي : « آه يَا نَوْم ! لَنْ نَخْرُجَ مِنْ هُنَا أَبَدًا ! لِمَاذَا
تَرَكْنَا الْآخَرِينَ ؟ »

وَجَلَسَ الْاِثْنَانِ ، وَوَضَعَ نَوْمٌ ذِرَاعَهُ حَوْلَ بِكِي . لَكِنَّهَا كَانَتْ
قَدْ فَقَدَتْ الْأَمَلَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَمَلٌ هُوَ الْآخَرُ .

وَفِي وَقْتٍ قَصِيرٍ تَحَرَّكَ الْاِثْنَانِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمَا
خُطَّةٌ . وَأَطْفَأَ نَوْمٌ لَهَبَ شَمْعَةٍ بِكِي ، فَقَدِ احْتِاجَا إِلَى شَمْعَةٍ وَاحِدَةٍ ،
وَفَهِمَتْ هِيَ جَيِّدًا . وَكَانَتْ مَعَهُ شَمْعَةٌ أُخْرَى فِي جَيْبِهِ ، وَلَكِنْ
كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُوقِرَ كُلَّ جُزْءٍ مِنَ الشَّمْعِ . وَعِنْدَمَا نَعَبَا جَلَسَا ،
وَتَحَدَّثَا عَنْ بَيْتَيْهِمَا ، وَتَذَكَّرَا أَصْدِقَاءَهُمَا وَفِرَاشَهُمَا الْمُرِيحَ ، وَتَذَكَّرَا
الضَّوْءَ الْبَاهِرَ خَارِجَ الْكَهْفِ .

وَنَامَتْ بِكِي قَلِيلًا ، ثُمَّ وَاصِلًا السَّيْرَ مَرَّةً أُخْرَى . وَوَصَلَا إِلَى
مَجْرَى مَاءٍ فَجَلَسَا بِجَوَارِهِ . وَعَثَرَ نَوْمٌ عَلَى بَعْضِ الْكَعْكَ فِي جَيْبِهِ ،



وَأَعْطَى بَعْضَهُ لِبْكَى قَائِلًا: « إِنَّهُ مِنْ كَعَكِ النَّزْهَةِ ». وَلَمْ يَأْكُلْ نَصِيْبَهُ كُلَّهُ .

قَالَ تَوْمُ بَرْقِي: « هَذِهِ آخِرُ قِطْعَةٍ مِنَ الشَّمْعَةِ ، يَا بْكَى . » وَتَرَدَّدَ فِي أَنْ يَقُولَ: « لَا بُدَّ أَنْ نَمُكِّثَ هُنَا ؛ فَلَدَيْنَا الْمَاءَ هُنَا ، وَنُحْتَمِنُ أَنْ نَشْرَبَ مِنْهُ . »

بَعْدَ صَمْتٍ طَوِيلٍ قَالَتْ بْكَى: « تَوْمُ ! إِنَّهُمْ سَيَفْتَقِدُونَنَا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَسَوْفَ يَبْحَثُونَ عَنَّا حَتَّى يَجِدُونَا . »

« نَعَمْ .. سَيَعْمَلُونَ . مِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُمْ سَيَبْحَثُونَ عَنَّا . »

« رُبَّمَا هُمْ يَبْحَثُونَ عَنَّا فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، يَا تَوْمُ . »

« نَعَمْ . سَتَفْتَقِدُكَ أُمُّكَ عِنْدَمَا يَعُودُ الْآخَرُونَ إِلَى بُيُوتِهِمْ . »

لَكِنْ تَذَكَّرَ كُلُّ مِنْهُمَا شَيْئًا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَوَقَّعُ عَوْدَةَ بْكَى إِلَى بَيْتِهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

وَجَلَسَ الْاِثْنَانِ فِي صَمْتٍ يُرَاقِبَانِ الشَّمْعَةَ . وَبَدَأَ اللَّهَبُ الصَّغِيرُ يَرْتَعِشُ . وَفِي لَحْظَاتٍ صَغَرَ اللَّهَبُ ثُمَّ انْطَفَأَ . وَأَطْبَقَ ظِلَامُ الْكَهْفِ عَلَيْهِمَا وَهُمَا جَالِسَانِ فِي سُكُونٍ . وَنَامَا فِيمَا بَعْدُ ، لَكِنَّهُمَا اسْتَيْقَظَا فِي الظَّلَامِ .

وَمَرَّتِ السَّاعَاتُ بَطِيئَةً ، ثُمَّ شَعَرَا بِالْجُوعِ مَرَّةً أُخْرَى . وَكَانَتْ قِطْعَةً صَغِيرَةً مِنْ كَعَكَةٍ تَوْمٌ قَدْ بَقِيَتْ فَاقْتَسَمَاهَا وَأَكَلَاهَا ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ صَغِيرَةً . وَفَجْأَةً سَمِعَا أَصْوَاتًا بَعِيدَةً جِدًّا .

صَاحَ تَوْمٌ: « إِنَّهُمْ قَادِمُونَ ، يَا بْكَى . » وَسَارَ الْاِثْنَانِ بِفَرَحٍ وَسُرُورٍ فِي اتِّجَاهِ الْأَصْوَاتِ ، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَسْتَطِيعَا التَّحَرُّكَ بِسُرْعَةٍ فِي الظَّلَامِ . وَفِي وَقْتٍ قَصِيرٍ ابْتَعَدَتِ الْأَصْوَاتُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَعَادَ السُّكُونُ إِلَى الْكَهْفِ .

وَوَجَدَ الطُّفْلَانِ الْحَزِينَانِ طَرِيقَهُمَا إِلَى الْمَاءِ ، وَنَامَا هُنَاكَ . وَعِنْدَ اسْتَيْقَظِهِمَا شَعَرَا بِجُوعٍ شَدِيدٍ .

وَقَرَّرَ تَوْمٌ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا ، فَلَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَجْلِسَ هُنَاكَ هَكَذَا ، فَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ خَيْطًا ، وَرَبَطَ نِهَائِيَّتَهُ بِصَخْرَةٍ ، ثُمَّ أَمْسَكَ بِالْخَيْطِ فِي يَدٍ وَاحِدَةٍ ، وَسَارَ عَلَى طَوْلِ مَمَرٍ أَرَادَ أَنْ يَسْتَكْشِفَهُ . وَانْتَهَى الْمَمَرُ عِنْدَ قِطْعَةٍ مِنَ الصُّخُورِ . وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ يَدٌ حَوْلَ الصَّخْرَةِ ، وَكَانَتْ تُمَسِّكُ بِشَمْعَةٍ . وَصَاحَ تَوْمٌ صَيْحَةً الْفَرَحِ ، لَكِنْ الْيَدُ اخْتَفَتْ بِسُرْعَةٍ . وَكَانَتْ يَدٌ رَدَّ جَوْ .

وَوَجَدَ تَوْمٌ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْحَرَكَةَ . وَقَرَّرَ رَدَّ جَوْ بَعِيدًا عِنْدَمَا رَأَى شَخْصًا فِي الظَّلَامِ . وَلَكِنْ بَعْدَ هَذَا كَانَ تَوْمٌ يَرْتَعِشُ ، وَعَادَ إِلَى

نَامَ تَوْمٌ وَبَكَى مَرَّةً أُخْرَى . وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَا أَحْسَا بِجُوعٍ شَدِيدٍ ،
وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمَا طَعَامٌ . وَاعْتَقَدَا أَنَّ الْيَوْمَ هُوَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ أَوْ
الْخَمِيسِ . وَقَرَّرَ تَوْمٌ أَنْ يَسْتَكْشِفَ مَمَرًا آخَرَ ، وَوَافَقَتْ بِكِي وَقَالَتْ
بِضَعْفٍ : « عُدْ بَعْدَ قَلِيلٍ ، يَا تَوْم ، فَإِذَا كُنَّا سَنَمُوتُ فَلَنَمُتْ مَعًا . »

وَطَمَأْنَهَا تَوْمٌ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ الْخَيْطَ فِي يَدِهِ ، وَذَهَبَ يَبْطِئًا عَلَى طُولِ
مَمَرٍ . وَزَحَفَ عَلَى يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ . وَكَانَ جَائِعًا وَقَلِقًا ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ
نِهَايَتَهُمَا أَصْبَحَتْ قَرْيَةً .

الفصل الخامس والعشرون

الْأَجْرَاسُ تُدَقُّ لَيْلًا

فِي عَصْرِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ كَانَتِ الْقَرْيَةُ لَا تَزَالُ مَكَانًا يُخَيِّمُ عَلَيْهِ
الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ ؛ إِذْ فَقَدَ مُعْظَمُ الرِّجَالِ الْأَمَلَ وَغَادَرُوا الْكَهْفَ .
وَاشْتَدَّ الْمَرَضُ بِالسَّيِّدَةِ ثَاتِرَ وَالِدَةِ بِكِي . وَجَلَسَتِ الْخَالَةُ بُوللي
حَزِينَةً فِي بَيْتِهَا تَنْتَظِرُ .

لَكِنْ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَيْقَظَتِ الْأَجْرَاسُ النَّاسَ مِنْ نَوْمِهِمْ .
وَمَلَأَ رَنِينُهَا الْعَالِي الْقَرْيَةَ كُلَّهَا . وَصَاحَ النَّاسُ : « لَقَدْ وَجَدَوْهُمَا !
لَقَدْ وَجَدَوْهُمَا ! »

وَتَحَرَّكَتْ عَرَبَةٌ مَكْشُوفَةٌ فِي الشَّارِعِ . وَكَانَ بَعْضُ الرِّجَالِ
يَدْفَعُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَيَصِيحُونَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ . وَكَانَ تَوْمٌ وَبَكَى
جَالِسِينَ فِي الْعَرَبَةِ . وَتَلَأُ كُلُّ ضَوْءٍ فِي الْقَرْيَةِ ، وَلَمْ يَعُدْ أَيُّ

شَخْصٍ إِلَى فِرَاشِهِ . وَذَهَبَتِ الْعَرَبَةُ بِتُومٍ وَبِكِي إِلَى مَنْزِلِ الْقَاضِي ؛
وَذَهَبَ النَّاسُ أَيْضًا إِلَى هُنَاكَ لِيَرَوْهُمَا ، وَلَكِي يُقْبِلُوهُمَا . كَانَتْ
لَيْلَةً مُثِيرَةً جِدًّا .

كَانَ عَلَى تُومٍ أَنْ يَشْرَحَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَقَالَ : « كَانَتْ مَعَنَا
كَعْكَةٌ وَوَجَدْنَا بَعْضَ الْمَاءِ فِي الْكَهْفِ ، لَكِنَّا كُنَّا نُعَانِي مِنْ جُوعٍ
شَدِيدٍ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْقَلِيلِ مِنَ الْكَعْكَةِ . تَرَكْتُ بِكِي
وَاسْتَكْشَفْتُ مَمَرَيْنِ ، لَكِنِّي وَصَلْتُ إِلَى نِهَآيَةِ الْخَيْطِ . وَمَا كِدْتُ
أَسْتَدِيرُ حَتَّى رَأَيْتُ بَصِيصًا مِنْ نُورٍ كَانَ مِثْلَ نُورِ النَّهَارِ ، فَالْقَيْتُ
بِالْخَيْطِ ، وَدَفَعْتُ بِرَأْسِي خِلَالَ فَتْحَةٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ نَهْرَ الْمَسِيْسِي
الْعَظِيمِ . كَانَ مُدْهِشًا .. حَقًّا مُدْهِشًا . عُدْتُ إِلَى بِكِي وَأَخْبَرْتُهَا



بِمَا رَأَيْتُ . لَمْ تُصَدِّقْنِي بِالطَّبَعِ ، وَلَكِنِّي أَخَذْتُهَا إِلَى الْمَكَانِ فَرَأَتْ
النُّورَ بِنَفْسِهَا !

نَحْنَا تُومٍ وَبِكِي مِنْ خِلَالَ الْفَتْحَةِ . وَجَلَسَا وَهُمَا فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ
خَارِجَ الْكَهْفِ . وَرَاحَا يَنْظُرَانِ إِلَى النَّهْرِ الْعَظِيمِ ، ثُمَّ لَاحِظَا وَجُودَ
رَجُلَيْنِ فِي قَارِبٍ فَنَادِيَا عَلَيْهِمَا . وَعِنْدَمَا ذَكَرَ تُومُ قِصَّتَهُمَا لِلرَّجُلَيْنِ ،
لَمْ يُصَدِّقَاهَا وَصَاحَا : « إِنَّكُمَا عَلَى بُعْدِ ثَمَانِيَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ مِنْ
مَدْخَلِ الْكَهْفِ ! » لَكِنَّهُمَا أَخَذَا الْاِثْنَيْنِ تُومَ وَبِكِي إِلَى بَيْتٍ ، وَقَدَّمَا
لَهُمَا وَجَبَةً طَعَامٍ . وَتَرَكَاهُمَا يَسْتَرِيحَانِ لِمُدَّةِ سَاعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَاءَا
بِعَرَبَةٍ ، وَعَادَا بِهِمَا إِلَى قَرْبَتِهِمَا .

وَذَهَبَ شَخْصٌ إِلَى الْكَهْفِ لِيُخْبِرَ الْقَاضِيَّ ثَانِثًا وَالرَّجَالَ
الْآخَرِينَ . وَعَادُوا بِبَهْجَةٍ وَسُرُورٍ إِلَى بُيُوتِهِمْ . وَلَمْ يَكُنْ أَيُّ شَخْصٍ
أَسْعَدَ مِنَ الْقَاضِيِّ ثَانِثًا عِنْدَمَا رَأَى ابْنَتَهُ بِكِي مَرَّةً أُخْرَى .

وَسَمِعَ تُومُ أَخْبَارَ هَاكِيزِي ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَحَدَّثَ مَعَهُ . وَسَمِعَ أَيْضًا
شَيْئًا آخَرَ ؛ فَجَثَّةُ رَفِيقِ رَدِ جَوْ عَثَرَ عَلَيْهَا فِي النَّهْرِ . وَظَنُّوا أَنَّهُ كَانَ
يُحَاوِلُ الْفِرَارَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ شَيْئًا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ تَحَدَّثَ الْقَاضِيُّ ثَانِثًا إِلَى تُومٍ عَنِ الْكَهْفِ ، فَقَالَ :
« لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ الْآنَ أَنْ يَدْخُلَهُ ؛ فَثَمَّةُ بَابٍ حَدِيدِيٍّ وَضَعَ عَلَى
الْمَدْخَلِ . وَلَنْ نَسْمَحَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَغَامَرَةِ ، يَا تُومُ ؛ فَهَذَا الْكَهْفُ غَيْرُ

مأمون .

امتنع وجهه نوم وصاح : « إن رد جو يعيش في داخل الكهف ! »

صرخ القاضي : « ماذا ؟ في الداخل ؟ لا بد أن نخرجه في الحال . »

وفي دقائق معدودة كان عدد قليل من القوارب يبحر في اتجاه الكهف مرة أخرى . وذهب نوم سوير مع القاضي . ووصلوا إلى الكهف ، وفتحوا باب الحديد . ووقعت أبصارهم على مشهد مفرع ؛ فقد كان رد جو ممدداً على الأرض ميتاً . وكان وجهه قريباً من ثقب في الباب وبجواره سكينه .

قال القاضي « يا للمسكين ! حاول الخروج ، ولكنه لم يستطع . وقد كسرت سكينه . انظر إليها . لم يستطع كسر هذا الباب الكبير بسكين صغيرة . »

ودفن رد جو بجوار مدخل الكهف . ولم يأسف هاكلبيري حقيقة على موت جو ، وكذلك نوم لم يأسف هو الآخر . وحكى له هاكلبيري عن صندوق النقود : « لقد تبعتها ، يا نوم ؛ ولكن النقود ليست في تلك الغرفة بالفندق . »

أجاب نوم : « أعرف ذلك ؛ فالنقود في الكهف

يا هاك !

صاح هاكلبيري : « في الكهف ؟ »

قال نوم : « هل تأتي معي لنجى بها ؟ »

« بالطبع سأفعل .. أستطيع أن أسير كيلومترين ، يا نوم . إنني لست مريضاً الآن . »

قال نوم : « نحتاج إلى أكياس صغيرة وبعض الخيط . ولا بد أن نأخذ بعض الطعام ، وبعض علب الثقاب . »

واصطحب نوم صديقه هاكلبيري بعد الظهر إلى النهر ، وركبا قارباً وأبحرا إلى الكهف ، وقاد صديقه إلى فتحة صغيرة خلف مجموعة من الشجر الكثيف الملتف . وكانت هذه الفتحة على بعد ثمانية كيلومترات من مدخل الكهف .

قال نوم : « هذا هو المكان ، يا هاك الذي نجوت منه أنا وبكي . »

أخذ هاكلبيري إلى داخل الكهف ، وقاده على طول ممر . وكانت شمعة في يد واحدة ورفعها إلى أعلى .

قال نوم : « انظر إلى الصخرة ، يا هاك . هل ترى ذلك المثلث هناك ؟ لقد رسمه رد جو بدخان الشمعة ، فقد رأيت رد جو هنا

وَمَعَهُ شَمْعَةٌ . وَدَارَ حَوْلَ الصَّخْرَةِ ، ثُمَّ فَرَّ هَارِبًا . هَلْ تَذَكَّرُ تِلْكَ
الْكَلِمَاتِ ؟ « تَحْتَ الْمُثَلَّثِ » يَا هَاك ! كَانَ الْمَكَانُ الثَّانِي تَحْتَ
الْمُثَلَّثِ ؛ فَالْرَّقْمُ اثْنَانِ هُنَا يَا هَاك . هَا هُوَ ذَا .

لَكِنْ هَا كِلْبِيرِي لَمْ يُعْجَبْ بِالْمَكَانِ ، وَقَالَ : « هَيَّا نَخْرُجْ مِنْ هُنَا
يَا توم ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ رُوحَ رَدِ جَوْ تَحُومَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؛ فَلِأَرْوَاحٍ
دَائِمًا تَعْسَكَرُ بِالْقُرْبِ مِنَ النُّقُودِ . لَكِنْ توم لَمْ يَهْتَمُّ بِالْأَرْوَاحِ ،
وَهَبَّطَ مِنْ مَكَانٍ أَشْبَهَ بِالتَّلِّ فِي الْكَهْفِ . وَكَانَ هَا كِلْبِيرِي خَائِفًا ،
وَلَكِنَّهُ تَبَعَ توم . وَكَانَ هُنَاكَ كَهْفٌ أَصْغَرَ فِي قَاعِ التَّلِّ اسْتَقَرَّتْ
فِيهِ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ وَتَفَرَّعَتْ مِنْهَا أَرْبَعَةُ مَمَرَاتٍ . وَفَحَصَهَا الْاِثْنَانِ
دُونَ الْوُصُولِ إِلَى نَتِيجَةٍ ، وَلَمْ يَجِدَا صُنْدُوقَ النُّقُودِ ؛ فَجَلَسَا بِحُزْنٍ
لِيُفَكِّرَا .

فَجَاءَ قَالَ توم : « هَاك ، انْظُرْ إِلَى الْعَلَامَاتِ هُنَاكَ بِالْقُرْبِ مِنَ
الصَّخْرَةِ . إِنَّهَا عَلَامَاتُ أَقْدَامٍ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَلَيْسَ هُنَاكَ آثَارُ
أَقْدَامٍ فِي آيَةٍ أُمْكِنَةٍ أُخْرَى بِالْقُرْبِ مِنَ الصَّخْرَةِ هُنَاكَ فَقَطْ .
لِمَاذَا ؟ إِنْ شَخْصًا اسْتَعْمَلَ الشَّمْعَ هُنَاكَ أَيْضًا ؛ إِذَا فَالْنُّقُودُ تَحْتَ
الصَّخْرَةِ . سَأَحْفِرُ ، يَا هَاك ، لِأَرَى .

وَحَفَرَ توم الْأَرْضَ بِنَعْصِ الْأَخْشَابِ ، فَوَجَدَ بَعْضَ الْأَلْوَابِ
فَأَلْفَى بِهَا بَعِيدًا ، وَمِنْ تَحْتِهَا رَأَى مَمَرًا ضَيِّقًا .

وَسَارَ توم وَهَا كِلْبِيرِي يَبْطِئُ عَلَى طُولِ الْمَمَرِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ
سَهْلًا . وَوَصَلَا إِلَى نِهَائِهِ فَوَجَدَا الصُّنْدُوقَ هُنَاكَ .

هَتَفَ توم : « هَا هُوَ ذَا الْكَنْزُ هُنَا .

وَتَنَاوَلَ هَا كِلْبِيرِي بَعْضَ هَذِهِ النُّقُودِ الْقَدِيمَةِ قَائِلًا : « نَحْنُ الْآنَ
أَغْنِيَاءُ ، يَا توم ! وَلَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ حَمْلَ الصُّنْدُوقِ عَلَى طُولِ
الْمَمَرِ .

أَجَابَ توم : « لَا . لَا بُدَّ أَنْ نَضَعَ النُّقُودَ فِي الْأَكْيَاسِ .

وَفَعَلَا ذَلِكَ ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ كَانَا خَارِجَ الْكَهْفِ . وَحَمَلَا الْكَنْزَ فِي
الْقَارِبِ ، وَأَبْحَرَا عَائِدَيْنِ إِلَى الْقَرْيَةِ . وَعِنْدَمَا وَصَلَاهَا ، تَقَابَلَا مَعَ
السَّيِّدِ جُونَرِ الرَّجُلِ الْوَيْلِزِيِّ ، وَأَخَذَهُمَا إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ دُوْجَلَاسَ
حَيْثُ كَانَتْ تُقِيمُ حَفْلًا حَضَرَهُ كِبَارُ رِجَالِ الْقَرْيَةِ .

وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ دُوْجَلَاسَ فِي انْتِظَارِ توم وَهَا كِلْبِيرِي ، لَكِنَّهَا
لَا حَظَّتْ مَلَاسَهُمَا الْمُتَسَخَّخَةَ ، فَأَعْطَتْهُمَا مَلَاسَ أُخْرَى نَظِيفَةً ، بَعْدَ
أَنْ أَخَذَ كُلُّ مِنْهُمَا حَمَامًا ، وَقَالَتْ لَهُمَا : « انْضَمَّا إِلَيْنَا فِي الْحَفْلِ
عِنْدَمَا تَسْتَعِدَّانِ .

شَيْئًا . كَانَ سِرًّا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ كَذَلِكَ . كُلُّ وَاحِدٍ يَعْرِفُهُ الْآنَ .

سَأَلَهُ توم : « وَمَا هُوَ هَذَا السِّرُّ ، يَا سَيِّدُ ؟ »

أَجَابَ : « إِنَّهُ خَاصٌّ بِهَا كِلِيرِي ؛ فَقَدْ تَبَعَ رَدَّ جَوْ حَتَّى بَيْتِ
السَّيِّدَةِ دُوجَلاس . وَيَعْتَقِدُ السَّيِّدُ جُونزَ أَنْ لَا أَحَدٌ يَعْرِفُ هَا كِلِيرِي ،
وَلَكِنَّ الْجَمِيعَ يَعْرِفُونَهُ ؛ فَقَدْ أَخْبَرَهُمْ أَحَدُهُمْ عَنْهُ . »

سَأَلَهُ توم : « مَنْ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ ؟ هَلْ كُنْتَ أَنْتَ ، يَا سَيِّدُ ؟
فَأَنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُفْشِيَ أَسْرَارَ النَّاسِ ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ » وَضَرَبَ توم
أَخَاهُ سَيِّدُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَدَفَعَهُ نَحْوَ الْبَابِ قَائِلًا : « اذْهَبِ الْآنَ وَأَخْبِرِ
الْخَالَهَ بُوللي عَنِّي . »

فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ نَهَضَ السَّيِّدُ جُونزَ مِنْ مَكَانِهِ ، وَطَلَبَ إِلَى
الْجَمِيعِ أَنْ يَصْمُتُوا . وَقَصَّ عَلَيْهِمْ حِكَايَتَهُ مَعَ هَا كِلِيرِي . وَلَمْ يَكُنْ
هَا كِلِيرِي يَبْدُو سَعِيدًا ، وَكَانَ يَرْتَدِي مَلَابِسَ نَظِيفَةً ، يَكْرَهُهَا كَمَا
يَكْرَهُ السُّمَّ .

وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْحَاضِرُونَ مَا قَالَهُ السَّيِّدُ جُونزَ تَظَاهَرُوا بِأَنَّهُمْ
مُنْدهِشُونَ . وَتَقَدَّمَتِ السَّيِّدَةُ دُوجَلاسُ نَحْوَ هَا كِلِيرِي وَشَكَرَتْهُ ،
وَقَالَتْ : « سَأَوْفَرُ لَكَ مَكَانًا لِلْعَيْشِ فِي مَنْزِلِي . وَسَأُرْسِلُكَ إِلَى
الْمَدْرَسَةِ ، وَأَدْفَعُ تَكَالِيفَ الدِّرَاسَةِ . وَعِنْدَمَا تَكْبُرُ سَأَعْطِيكَ بَعْضَ الْمَالِ
لِكَيْ تَبْدَأَ عَمَلًا حُرًّا . »

الفصل السادس والعشرون

الذهب الأصفر

لَمْ يَكُنْ هَا كِلِيرِي يُحِبُّ الْحَفَلَاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ لِقَاءَ
النَّاسِ ، فَقَالَ لِتوم : « يُمَكِّنُنَا الْهَرُوبُ مِنَ النَّافِذَةِ ، يَا توم . لَا أُرِيدُ
أَنْ أَكُونَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ فِي الدَّوَرِ السُّفْلِيِّ . لَنْ أَذْهَبَ . »

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ فَتَحَ سَيِّدُ الْبَابِ وَدَخَلَ عَلَيْهِمَا قَائِلًا : « أَهْلًا !
انْظُرْ إِلَى مَلَابِسِكَ ! أَلَيْسَتْ قَدِيرَةً ؟ توم ، إِنَّ خَالَتي كَانَتْ تَنْتَظِرُكَ
طَوْلَ فِتْرَةٍ مَا بَعْدَ الظُّهْرِ . أَيْنَ كُنْتَ ؟ »

أَجَابَ توم : « لَنْ أَقُولَ لَكَ . مَا الَّذِي يَحْدُثُ هُنَا ؟ لِمَاذَا
أَقَامَتِ السَّيِّدَةُ دُوجَلاسُ هَذِهِ الْحَفْلَةَ ؟ »

أَجَابَ سَيِّدُ : « إِنَّهَا تُحِبُّ الْحَفَلَاتِ ، وَقَدْ أَعَدَّتْ هَذِهِ الْحَفْلَةَ
لِلرَّجُلِ الْوِيلِزِيِّ ؛ فَقَدْ سَاعَدَهَا بِطَرِيقَةٍ مَا . مَا اسْمُهُ ؟ السَّيِّدُ جُونزَ ،
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَهُوَ يَعُدُّ مُفَاجَأَةً لِكُلِّ شَخْصٍ . يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَنَا

صاحَ توم : « إِنَّ هَاكِلبِرِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَالٍ . إِنَّهُ غَنِيٌّ
لَا تَبْتَاسِمُوا . إِنَّ هَاكِلبِرِي لَدَيْهِ قَدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمَالِ . سَأَرِيكُمْ ! »

وَكَانَ توم وَهَاكِلبِرِي قَدْ تَرَكََا أَكْيَاسَ النُّقُودِ الذَّهَبِيَّةِ خَارِجَ
الْمَنْزِلِ . وَأَسْرَعَ توم خَارِجًا وَجَاءَ بِهَا وَأَلْقَى بِالنُّقُودِ الصُّفْرَاءِ عَلَى
الْمَائِدَةِ ثُمَّ خَرَجَ ثَانِيَةً ، وَعَادَ بِالأَكْيَاسِ الأُخْرَى ، وَقَالَ : « إِنَّ نِصْفَهُ
مِلْكٌ لَهَاكِلبِرِي ، وَالنِّصْفَ الأُخَرَ مِلْكِي . »

لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ كَلِمَةً وَاحِدَةً لِمُدَّةٍ لِحُظَةٍ . وَكَانَتْ جَمِيعُ العُيُونِ
تُحْمَلِقُ فِي الذَّهَبِ . وَصَاحَ أَحَدُهُمْ : « اشرحْ لَنَا الأَمْرَ .. اشرحْ لَنَا
الأَمْرَ . »

وَشَرَحَ لَهُمْ توم الأَمْرَ ، لَكِنَّ ذَلِكَ اسْتَغْرَقَ وَقْتًا طَوِيلًا .

وَاسْتَمَعَ السَّيِّدُ جُونزَ إِلَى قِصَّةِ توم فِي سَكُونٍ ، ثُمَّ قَالَ فِي
النِّهَايَةِ : « ظَنَنْتُ أَنَّ عِنْدِي مُفَاجَأَةً وَلَكِنَّ هَذِهِ أَكْبَرُ مُفَاجَأَةٍ ! »

الفصل السابع والعشرون قُوَّةُ الْمَالِ

أَثَارَتِ النُّقُودُ الذَّهَبِيَّةُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الأحَادِيثِ فِي مَدِينَةِ سَانتِ
بِيترسبرغ ، وَكَانَتْ كَمِيتَتِهَا كَبِيرَةً جِدًّا . وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ بِالْغِيَرَةِ مِنْ
توم وَهَاكِلبِرِي ، لَكِنَّ أَنَاسًا آخَرِينَ فَتَّشُوا تَحْتَ أَرَاضِيهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَعْثُرُونَ عَلَى صَنَادِيقٍ مَمْلُوءَةٍ بِالنُّقُودِ ، وَلَكِنَّ لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا .

وَأَثَارَتِ النُّقُودُ الذَّهَبِيَّةُ بَعْضَ الْمَشَاكِلِ لِتوم وَهَاكِلبِرِي ؛ فَلَمْ
يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمَا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ أَعْمَالِ الْبَنُوكِ أَوْ عَالَمِ الْمَالِ . لِذَلِكَ
عَاوَنَتِ السَّيِّدَةُ دَو-جَلاسُ الصَّبِيَّ هَاكِلبِرِي ، وَعَاوَنَ الْقَاضِي ثَاتَشِرُ
الصَّبِيَّ توم . وَشَرَحَ هَذَانِ الشَّخْصَانِ الطَّيِّبَانِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لِلصَّبِيِّينَ .

قَالَ الْقَاضِي : « إِنَّ الأَغْنِيَاءَ مِنَ النَّاسِ لَا يَحْفَظُونَ بِأَمْوَالِهِمْ فِي
صُنْدُوقٍ قَدِيمٍ ، بَلْ يَسْتَتِمِرُونَهَا لِتَجْلِبَ لَهُمْ مَزِيدًا مِنَ الْمَالِ . »

وَعَمِلَ توم وَهَاكِلبِرِي بِالنَّصِيحَةِ ، وَوَضَعَا أَمْوَالَهُمَا فِي الْعَدِيدِ

مِنَ الشَّرَكَاتِ الْجَيِّدَةِ . وَأَصْبَحَا أَكْثَرَ سَعَادَةً عِنْدَمَا حَدَّاهَا هَذَا
الْعَمَلُ ، وَأَصْبَحَ كُلُّ مِنْهُمَا غَنِيًّا وَتَنَهَالُ عَلَيْهِ الْأَمْوَالُ بِانْتِظَامٍ .

وَأَعْجَبَ الْقَاضِي نَاتِشِرَ بِالْفَتَى توم ، وَتَجَلَّى ذَلِكَ عِنْدَمَا قَالَ
عَنْهُ : « لَقَدْ أَنْقَذَ الْفَتَى حَيَاةَ ابْنَتِي ، وَاهْتَمَّ بِهَا عِنْدَمَا هَاجَمَتْهُمَا
الْخَفَافِيشُ . وَعِنْدَمَا كَانَتْ جَائِعَةً أَعْطَاهَا بَعْضَ الْكَعْكَ . وَ وَجَدَ
هُوَ وَحْدَهُ طَرِيقَ الْخُرُوجِ مِنَ الْكَهْفِ ، وَبِذَا أَنْقَذَ حَيَاتَهَا . »

وَذَكَرَتْ بِكِ لِأَيِّهَا قِصَّتُهَا مَعَ كِتَابِ نَاضِرِ الْمَدْرَسَةِ ، فَقَالَتْ :
« مَزَّقْتُ كِتَابَ النَّاضِرِ خَطَأً . لَكِنَّ تومَ تَلَقَّى اللَّوْمَ نِيَابَةً عَنِّي ،
وَضَرَبَهُ السَّيِّدُ دوينزَ ضَرْبًا شَدِيدًا . لَقَدْ كَذَبَ مِنْ أَجْلِي . »

قَالَ وَالِدُهَا : « كَانَتْ كِذْبَةً نَبِيلَةً . إِنَّهُ شَخْصٌ مُمْتَنَزِعٌ ، وَقَدْ
يُصْبِحُ يَوْمَ جُنْدِيًّا عَظِيمًا . سَاعَاوْنُهُ إِذَا احْتَاجَ إِلَى الْمَالِ . »

وَكَانَتْ حَيَاةُ تومَ سَعِيدَةً ، لَكِنَّ حَيَاةَ هَاكِلِيرِي كَانَتْ عَلَى
عَكْسِ ذَلِكَ . كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْتَدِيَ مَلَابِسَ أَنْيَقَةٍ وَيَمْشِطُ شَعْرَ رَأْسِهِ ،
وَيَذْهَبَ إِلَى الْحَفَلَاتِ ، وَيُقَابِلَ كُلَّ النَّاسِ . وَكَانَ يَكْرَهُ ذَلِكَ
كُلَّهُ . كَانَ يَنَامُ فِي فِرَاشٍ نَظِيفٍ ، وَيَسْتُخْدِمُ السَّكِينُ وَالشُّوَكَةُ فِي
تَنَاوُلِ طَعَامِهِ . وَتَذَكَّرَ حَيَاتَهُ الْقَدِيمَةَ السَّعِيدَةَ فَحَزَنَ .

احْتَمَلَ هَاكِلِيرِي هَذَا التَّغْيِيرَ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ ، ثُمَّ اخْتَفَى ؛
وَلَمْ يُعْثَرِ عَلَيْهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ . وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ لَاحْتِفَائِهِ خَطَرَتْ

عَلَى بَالِ تومَ فِكْرَةٌ مُفَاجِئَةٌ ، فَذَهَبَ إِلَى مَبْنَى قَدِيمٍ فِي الْقَرْيَةِ ،
هََاكِلِيرِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ فِي الْمَاضِي . وَذَهَبَ تومَ إِلَى الْمَبْنَى ،
وَوَجَدَ هَاكِلِيرِي ، وَكَانَ سَعِيدًا ، وَابْتَسَمَ عِنْدَمَا رَأَى تومَ .

قَالَ تومَ : « لَا بُدَّ أَنْ تَعُودَ ، يَا هَاك . إِنَّكَ فَتَى غَنِيٌّ ، وَلَا يَجِبُ
أَنْ تَعِيشَ فِي مَكَانٍ مِثْلِ هَذَا . »

ارْتَسَمَ الْحُزْنُ عَلَى وَجْهِ هَاكِلِيرِي لَدَى سَمَاعِهِ كَلِمَاتِ تومَ ، ثُمَّ
قَالَ : « لَا تَتَحَدَّثْ عَنْ ذَلِكَ ، يَا تومَ . لَا أُحْتَمِلُ الْحَيَاةَ فِي ذَلِكَ
الْمَنْزِلِ . إِنَّهُ فَظِيعٌ ؛ السَّيِّدَةُ دوجلاسَ تَجْعَلُنِي أُسْتَيْقِظُ فِي نَفْسِ
الْوَقْتِ كُلِّ يَوْمٍ . وَتَجْعَلُنِي أُغْسِلُ وَجْهِي ، وَتَجْعَلُنِي أَمْشِطُ
شَعْرِي . وَعَلَيَّ أَنْ أَرْتَدِيَ مَلَابِسَ نَظِيفَةً . لَا أُسْتَطِيعُ التَّنَفُّسَ بِحُرِّيَةٍ
وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ . »

قَالَ تومَ : « كُلُّ شَخْصٍ يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، يَا هَاك . »

أَجَابَ هَاكِلِيرِي : « وَلَكِنِّي لَسْتُ كَالْآخَرِينَ فَهِيَ لَا تَدْعُنِي
أَدْخُنُ غُلْيُونِي ، وَتُرِيدُ إِرْسَالِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ . أَنَا ، يَا تومَ أَذْهَبُ إِلَى
الْمَدْرَسَةِ ! لَا .. لَا .. إِنَّنِي أَحِبُّ حَيَاتِي الْقَدِيمَةَ فَهِيَ الْأَحْسَنُ . »

رَدَّ عَلَيْهِ تومَ : « إِذَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ شَخْصًا خَشِنَ الطَّبَاعِ مَرَّةً
أُخْرَى ؟ إِنَّنِي آسِفٌ ، يَا هَاك . إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ، فَلَنْ لَا يُمَكِّنَكَ
أَنْ تَنْضَمَّ إِلَيْنَا . إِنَّنِي أَكُونُ عِصَابَةً جَدِيدَةً مِنَ الرُّجَالِ . سَنَكُونُ

أَفْضَلَ مِنَ الْقَرَّاصِينَةِ . لَقَدْ اعْتَادَ الرُّجَالُ أَنْ يَسْرِقُوا النَّاسَ فِي
الْمَاضِي ، وَنَحْنُ نَكُونُ عِصَابَةً لِعَمَلِ نَفْسِ الشَّيْءِ . وَلَكِنْ لَنْ
يَكُونَ مَعَنَا رِجَالٌ مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ الْخَشِينِ فِي عِصَابَتِنَا . وَلَنْ تَسْتَطِيعَ
أَنْ تَنْضَمَّ إِلَيْنَا إِذَا تَرَكْتَ السَّيِّدَةَ دَوِجَاس . فَإِذَا أَخَذْنَا رِجَالًا
خَشِينِينَ ، فَمَاذَا سَيَظُنُّ النَّاسُ ؟ سَوْفَ يَقُولُونَ إِنَّ عِصَابَةَ سَوِيرِ هُمْ
مَجْمُوعَةُ رِجَالٍ خَشِينِينَ . وَلَا أَقْبَلَ ذَلِكَ ، يَا هَاكَ . فِيمَا أَنْ تَعُودَ
إِلَى الْمَنْزِلِ ، أَوْ تَظَلَّ بَعِيدًا عَنْ عِصَابَتِي .

قَالَ هَاكِلِيرِي بِحُزْنٍ : « كُنْتُ دَائِمًا صَدِيقِي ، يَا تَوْم . وَلَا
أَظُنُّكَ تُرِيدُ أَنْ تَبْعِدَنِي عَنْ صُحْبَتِكَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »
أَجَابَهُ تَوْم : « لَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ ، يَا هَاكَ . لَكِنِّي ذَكَرْتُ
لَكَ الْحَقَائِقَ . »

ظَلَّ هَاكِلِيرِي صَامِتًا لَوَقْتٍ طَوِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ : « سَأَذْهَبُ إِلَى
مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ دَوِجَاس لِمُدَّةِ شَهْرٍ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ سَأَقْرُرُ . وَلَكِنَّكَ
سَتَدْعُنِي أَنْضَمَّ إِلَى عِصَابَتِكَ ، يَا تَوْم ؟ »
« نَعَمْ ، سَأَفْعَلُ ! »

قَالَ هَاكِلِيرِي بِنُعُومَةٍ : « يُمَكِّنُنِي أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَنْزِلِ أحيانًا .
وَسَأَكُونُ مَعَ الزَّمَلَاءِ الْآخَرِينَ ، فَهَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ
الْقَرَّاصِينَةِ ! »

المغامرات المشيرة

- ١- مغامرة في الأدغال
- ٢- مغامرة في الفضاء
- ٣- مغامرة أسيرين
- ٤- مغامرة في الجزيرة الخضراء
- ٥- مغامرة على الشاطئ
- ٦- الجاسوس الطائر
- ٧- لصوص الطريق
- ٨- حمد الغواص الشجاع
- ٩- اللسان الغيبان
- ١٠- مطاردة لصوص السيارات
- ١١- مغامرات السندباد البحري
- ١٢- لعبة خطرة
- ١٣- الحشرة الذهبية وقصص أخرى
- ١٤- اللؤلؤة السوداء
- ١٥- سر الجزيرة
- ١٦- مغامرة في النهر
- ١٧- شبح الحديقة وقصص أخرى
- ١٨- سر الدرجات التسع والثلاثين
- ١٩- الجاسوس وقصص أخرى
- ٢٠- مغامرات توم سوير
- ٢١- المختطف
- ٢٢- الكمبيوتر الرهيب
- ٢٣- الأميرة المتوحشة وقصتان أخريان
- ٢٤- موسيقى الليل وقصتان أخريان



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت

01 C 198222

رقم الكمبيوتر